

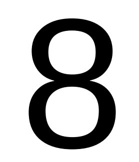
تأملات جمالية في كتاب الله

إعداد

دكتور/ أبو بكر الصديق عمر الفاروق القاضي



الدار العالمية
للنشر والتوزيع




الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع

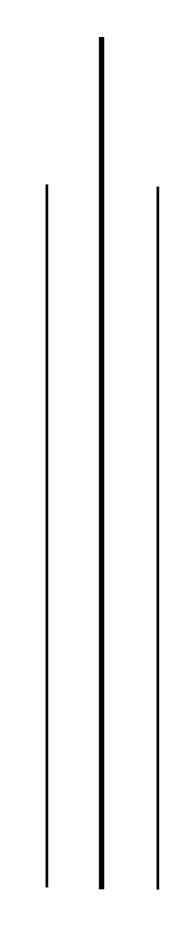
١٧٦٨٤/ ٢٠١١م

الترقيم الدولي:

I.S.B.N 978-977-5025-32-6



ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-
محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+
تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+
E-mail: alamia_misr@hotmail.com





8

إهداء

إلى أمـي وأبـي... اللذيْـن ربيانـي صغيرًا...وشملانـي بأحضانهمـا الدافئـة..... وأغدقا عليَّ حنانًـا غزيرًا... رحم الله أمي.. وحفظ الله أبي..

إلى شـيخي...... ووالد روحي وقلبي.. ومن تعلمت منه معنـى الإيمـان... والبذل والعطاء لا لشـيء إلا رجاء رحمة الله... الدكتور ياسر برهامي حَفِظَهُ اللهُ ..

إلى الملهـم الفـارس المغـوار صاحـب القلـب الفيَّـاض والقلم الرشيق.. والمشاعر الجياشة في كتاباته وأطروحاته الفريدة... الدكتور فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إلى إخواني مكابدي الطريق إلى الله... والسائرين على الدرب إخلاصًا واتباعًا... حبًا وشوقًا... رعاكم الله.

إليكم أهدي هذه اللمسات والنبرات والإشراقات......

.... DKĀ ǂ ǩł Ō ʂ ǪƛĀ

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

.... تَبَارَكَ وَتَعَالَى ǰ Ʒ ƒ ƸǩŁ ƙƘǭŪ

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾.

.... عَزَّ وَجَلَّ ǴƛƸǩ ğǸƽƸǩł ǹǸ Ğ ǁ

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾.

ŋǽłʎǶǩł ϴƘāłƸ ǁ ƒ

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾.

ǼāƸǭǩł ƧłƸūǭ

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**.

...ğĸDžŇĕ YĂĸ‖ ÁǫŪ

في زمـن جفـت فيـه منابـع الربانيـة واليقـين والإيمان بتلاطـم الفتـن واختـلاط الحق بالباطـل وتدافعهـما المرير يحتـاج العبد المؤمـن إلى تجديد إيمانـه دومًا والتـترس بجُنَّة حصينـة ضـد هـذه العواصـف التـي تـكاد تقتلع بشاشـة يقينـه مـن جذورهـا ولا يكون هـذا إلا بالإقبـال الحقيقي الصادق على القرآن البحر الذي لا تفنى عجائبه ولا يشبع منـه العلماء ولا أصحـاب القلوب الطاهرة كـما قال عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لو طهرت قلوبكم ما شـبعت مـن كلام ربكم» في ظـل الظلـمات المتكاثـرة نحتـاج أن نتلمس ذلـك النور ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا ﴾ لنوقد فتيل الإيمان في وجداننا ونشعل قناديل الهداية لمن حولنا وذلك بالتدبر والتفكر... التدبـر لآيـات الله الشرعية والتفكـر في آيـات الله الكونية حتى نتسـنَّم لأفق معرفة الله تلـك الجنة الفيحاء التي من لم يدخلهـا لم يدخل جنة الآخرة وتلك المعرفة ليسـت المعرفة التصورية النظرية السطحية بل نقصد بها المعرفة التي تحرك

الإرادات والجوارح لمرضاة رب العالمين فهي المعرفة التي تصيغ العقل والوجدان والحركات والسكنات صبغة ربانية وذلك التغيير الحقيقي الذي يُطلب من حامل القرآن وحامل السورة وحامل الآية أن يتخلق بالقرآن فيكون له القرآن هيئةً راسخةً كامنةً في نفسه كما سُئلت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت كان خلقه القرآن.. فقد تجسدت المعاني والتوجيهات والإشارات والأوامر والنواهي في حياة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبًا وشوقًا لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.....ولذلك في تلك الأزمة الروحية التي يحياها المسلمون عامة وأبناء الصحوة الإسلامية خاصة يتحتم علينا أن نئوب تائبين إلى كتاب ربنا لنذوق طعم الإيمان من جديد والحياة من أجل الله وحب الموت في سبيله ونعالج التشوهات الخُلقية والسلوكية التي نعاني منها لبعدنا عن ذلك المنهل الصافي الثجاج ألا هو كتاب الله فلا يزال غضًا طريًا كما أُنزل.... وذلك يكون بالدراسة المنهجية العلمية والتربوية ولا أقصد التفسير حسب قواعده التفسيرية وعلوم القرآن ولكن كمحاولات بعض المتأخرين في تفيؤ ظلال القرآن كسيد قطب في كتابه ظلال القرآن وكتب

د.فريـد الأنصـاري مجالـس القـرآن ١-٢ وفي كثـير مـن دروسـه ومحاضراته وأبي الحسن الندوي في كتابه (تأملات إيمانية) وبعض المعاصرين مثل كتب د.عبد الكريم بكار في كتابـه (في إشراقة آية) د. ياسر برهامـي في (تأملات إيمانية في سـورة يوسـف) وكثير من دروسـه ومحاضراته، وكتب د. خالـد اللاحم، ود.مجدي الهلالي، ود.خالد أبو شـادي، ود.صـلاح الخالدي، ود.سـليمان نـاصر العمر، والشـيخ سـعيد السواح وغيرها من التجارب التي تقترب من ذلك الهدف وترنو لمعايشـة القرآن وتذوُّقِ حـلاوات الإيمان في رحابه مع تنشـئة التصـورات والعقائد السليمةواسـتقامة الإرادات...ولايـزال البـاب مفتوحًـا لكل مـن لم يغمض عينيه عن هذا السراج المنير....وعلى هامش تلك التجارب تأتي تلك التجربة التي لا تكاد تدخل في هذا المضمار ولكنها لاتعـدو أن تكون خلجات صدر وخواطر ذهن ومشـاعر قلب أُفعم بحب القرآن منذ اللحظات الأولى لتنفس هواء الحياة واختلطت تلك السـطور بجراحـات الحياة ونكدها وكربها فأتت عليها إشراقات الكتاب العزيز فبددتها وأتت بفجـر جديـد في عالم الحـس والشـعور فما هـي إلا كلمات

مبعثـرة مـن تجربة وجدانيـة لقلـب كليل في السـير إلى الله .... و قـد كانت مجالس قرآنيـة أُلقيت جُلُّها في فجر العشر الأواخر من رمضان ١٤٣٢هـ وقد كانت حبيسة الورقات ونُـشر بعضهـا إلكترونيًـا ولقـد رجـوت بنشرهـا إفـادتي بأجرهـا وإفادة إخـواني بما فيها من معانٍ وأرجو من الله أن تكون خطوة في طريق ذلك المشروع العظيم بتحقيق نهضة قرآنيـة من خلال تأسـيس مجالس لتـدارس القرآن الكريم تلقيـا وتخلقًا وبلاغًا الذي أطلقه الكاتب الأديب الأصولي الشـاعر الروائي فريد الأنصاري في كتابه (مجالس القرآن) وذلك يبدأ بالتنظيرات واسعة المدارك والآفاق فتستوعب أمـراض الأمة وعلاجها وقضايا الواقع وترتقي بها لسـبل النجـاة في الدنيـا والآخرة وتنتهي بالحـركات التي تؤثر في الأمم والمجتمعات بل تُولد من جديد على يديها وقد كثرت التنظيرات وقلت الحركات والعمل في الإصلاح الحقيقي وزبدته صناعة شخصيات قرآنية ربانية أصيلة تربأ بنفسها وواقعها إلى المعالي إلى أن تمثل أمام أعينها خلافة على منهاج النبوة..الوعد الحق والبشرى الصدق.... ولقد علمتُ أن المعاني التـي كتبت كثيرة غفيرة ولكن قلما تلك التي يُكتب

لهـا البقـاء والخلـود وسر ذلـك تجرد وإخـلاص الأنفاس والأقلام.......فأجأرُ إلى الله وأتضرع إليه بأسمائه الحسنى وصفاتـه العـلى ألا يحرمنـا مـن نعمة حـب كتابـه والتنعم بظلاله الوارفة والفـرح بآياته ويرزقنا التجرد والإخلاص في بـث تلك المعـاني في قلبي وقلوب إخـواني إنه ولي ذلك والقادر عليه ....

وأخيرًا أشكر كل من عاونني من مشايخي وإخواني في إعداد هذا البحث بمساعدة أو استشارة أو تشجيع وأسأل الله أن ينفـع بهذه الكلمات كاتبها وناشرهـا وقارئها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

كتبه

أبو بكر الصديق عمر الفاروق القاضي

abobakrelkady@gmail.com

مدونة آخر الفرسان

akherelforsan.blog.spot.com



[محمد:٢٤]



DK3ǪūǩǨƛ ǨDǎǨƱ 5 ǾǩƐƛyǪǩƗ

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

:ƐƛyǪǩƗ ǺDzūǭ

تدبر الأمر لغةً، أي: نظر في عواقبه (أساس البلاغة).

وقال في تاج العروس في الكتاب العزيز: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ أي ألم يتفهموا ما خوطبوا به في القرآن؟ وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي أفلا يتفكرون فيعتبروا، فالتدبر هو التفكر والتفهم اهـ.

فيكون معنى تدبر القرآن: هو التفكر والتأمل في كلام الله لأجل فهمه، وإدراك معانيه وحكمه، والمراد منه.

:ƐƛyǪǩƗ ƞǾǯǵ

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه يورث: المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال

المذمومة؛ والتي بها فساد القلب وهلاكه ،فلوعلم الناس مافي قراءة القرآن بالتدبر لا شتغلوا بها عن كل ماسواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مرَّ بآية هو محتاج إليها في شفاء قلبه؛ فليكررها ولو مائة مرة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة كاملة بغير تدبُّر وتفهم ،وهو أنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن.....

فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب» اهـ.

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾.

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾.

﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه (أضواء البيان) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾: «ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم أي تصفحها وتفهمها، وإدراك معانيها والعمل

بهـا، فإنه معـرضٌ عنها، غـير متدبر لها، فيسـتحق الإنكار والتوبيـخ المذكور في الآيات إن كان الله أعطاه فهما يقدر به على التدبر، وقد شـكا النبـي ﷺ إلى ربه من هجر قومـه هـذا القرآن، كما قـال تعـالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ وهذه الآيات المذكورة تـدل على أن تدبر القـرآن وتفهمه وتعلمـه والعمل به،أمر لابد منه للمسلمين .

وقد بـيَّن النبـي ﷺ أن المشـتغلين بذلك هم خـير النـاس كـما ثبـت عنـه ﷺ في الصحيح من حديـث عثـمان بـن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنـه قـال : «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» [صحيح أخرجه البخاري في صحيحه].

وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩].

فإعـراض كثـير مـن الأقطار عـن النظـر في كتاب الله وتفهمـه والعمـل به وبالسـنة الثابتـة المبينة لـه. من أعظم المناكر وأشنعها، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى.

ثــم يقــول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...اعلم أن قول بعــض متأخري الأصوليين :إن تدبر هــذا القرآن العظيم ،وتفهمه والعمل بــه ، لا يجــوز إلا للمجتهديــن خاصــة، وأن كل من لم يبلغ درجــة الاجتهــاد المطلــق بشروطه المقــررة عندهــم التي لم يســتند اشــتراط كثير منها إلى دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس جلي، و لا أثر عن الصحابة، قول لا مستند له من دليل شرعي أصلًا.

بــل الحــق الذي لاشــك فيــه أن كل مــن له قــدرة من المســلمين ،عــلى التعلــم والتفهــم، وإدراك معــاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمهما، والعمل بما علم منهما.

أمــا العمل بهــما مع الجهل بــما يعمل فممنــوع إجماعًا. وأمــا ما علمــه منهما علما صحيحًا ناشــئًا عن تعلم صحيح .فله أن يعمل به ، ولو آية واحدة أو حديثًا واحدًا.

ومعلــوم أن هذا الــذم والإنكار على من لم يتدبر كتاب الله عام لجميع الناس.

ومــما يوضح ذلك أن المخاطبــين الأولين به الذين نزل فيهــم هم المنافقــون والكفار، ليــس أحد منهم مســتكملًا

لـشروط الاجتهـاد المقـررة عند أهـل الأصول، بـل ليس عندهم شيء منها أصلًا.

فلو كان القرآن لا يجوز أن ينتفع بالعمل به، والاهتداء بهديـه إلا المجتهـدون بالاصطـلاح الأصـولي لمـا وبَّخ الله الكفـار وأنكر عليهم عدم الاهتـداء بهداه ،ولما أقام عليهم الحجـة بـه حتـى يحصلـوا شروط الاجتهـاد المقـررة عنـد متأخري الأصوليين ، كما ترى.

فلـو كان لا يصح الانتفاع بهدي القرآن إلا لخصوص المجتهديـن لما أنكر الله على الكفار عدم تدبرهم كتاب الله، وعدم عملهم به». اهـ بتصرف.

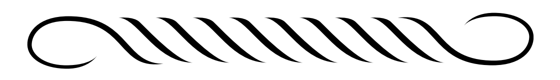
K

ηØǩǩƷΣ ΘÊǭǶơ

:Åǩǩūơ ĠǩǸā Æə

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾

[الرَّعۡد : ١٧]



۞ هنا تُخرس الكلمات ويُترَك للقلوب العنان، هنا تستفيق القلوب من غفوتها وتستيقظ من غفلتها، هنا تُباشر الحياة ومذاقها الرغد مع شلالات الروح، قال تعالى:

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾.

[الرعد:١٧]

۞ فهذه الآية الكريمة فيها من البصائر والأنوار ما نحاول عنه كشف الأستار فهذه الآية تحكي قصة الحياة طولًا وعرضًا فالله أنزل من السماء ماءً طهورًا ليحيى به بلدة ميتًا ويسقى به أنعامًا وأناسيَّ كثيرًا هذا الماء به حياة الأبدان والأشباح... وأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من السماء أيضًا -وهي مصدر الخير والنور- الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح.

۞ تتدفـق الميـاه من شـلالات المـاء الصافيـة النقية في أوديـة كل وادٍ عـلى حسـبه في السـعة والضيـق فـواد كبير يسـع ماءً كثيرًا ووادً صغير يسـع ماءً قليـلًا...... وفي ظل ذلـك التدفق القـويّ للماء تـرى بعض القـاذورات تتدفق عـلى سـطح الماء فعلى قـدر قوة السـيل والشـلال على قدر انحسـار تلك الشـوائب والزبد على حافتى النهر ولا يبقى في الـوادى إلا المـاء والطمـي الذي يجعـل الله منه كل شيء حي، هلا سـمعتم وأنصتـم... أفلا تعقلون ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠]، وانظـر إلى الأفق الآخر......

۞ شـلالات الهـدى والنـور الثجاجـة مـن القـرآن والسـنة تتدفق في الأودية الربانية التي جعلها الله مسـتودع الأسرار ومحـل نظـر العزيز الغفـار.... ألا وهـي القلوب والأرواح فالقلـب عـالم كبـير يسُـع الملكـوت ملكـوت السـموات والأرض وهـي آنيـة الله في الأرض قـال رسـول الله ﷺ: «**إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها**».

[الألباني في «السلسلة الصحيحة»]

فقلب كبير يسع علمًا كثيرًا وقلب صغير يسع علمًا قليلا، وعلى قدر تلقى الوحى تتسع القلوب وتكبر وتصبح الأرواح عظيمة فتحوى ما يحبه الله من صدق وإخلاص وتجرد وحب وخوف ورجاءٍ وأُنْسٍ به وتوكلٍ عليه تبارك وتعالى وتحوي عقلًا وفهمًا عن الله مراده وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ومقاصد شرعه... أرواح عظيمة تحمل أصحابها على البذل والإيثار والدعوة إلى الواحد القهار تبارك وتعالى.... أرواح عظيمة تحث على النصح والرحمة بالخلق..... ألم تر إلى نبي الرحمة وربه يعاتبه على رحمته على الكفار التي كادت تقتله صلى الله عليه وسلم ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تَقَحَّمُون فيه**». (رواه مسلم)

۞ ألا تسمع لذلك الصوت الآتي من الآخرة تشم منه عبق الجنة الطاهر ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي

يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يـس:٢٦-٢٧]. ناصحًا لقومه في حياته وبعد مماته...

۞ ألم تسمع إلى حكاية الله عن وجدان المؤمن الصادق المحب لربه ودعوته ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [يـس:٣٠].

۞ حسرات في القلوب السليمة على هؤلاء الذين خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها حب الله والتنعم بذكره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..... قلوب وأرواح تتدفق فيها شلالات النور أمواج متلألأة تغسل أرض القلوب من الشبهات والشهوات وتجرف على قدر قوتها الزبد من التصورات الباطلة والإرادات الفاسدة حتى تطيب أرض القلوب وتنبت من كل زوج بهيج، وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ : «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فأصاب منها طائفة نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**».

۞ فعلى قدر قوة الشلال الطاهر من الهدى والعلم وخصوبة أرض القلب لتلقى ذلك يكون العمران عمران القلوب ثم عمران الكون كله...

ثم يضرب الله مثلًا آخر

۞ ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ [الرعد:١٧].

وهذا أفق آخر وبُعد آخر فيه نرى المواجيد الربانية في القلوب من شوق وحب وصبر وتوبة مع ابتلاءات كلمات الله ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ كالنار مع المعادن النفيسة تنقى عنها الخبث والكير فتخرج لامعة وهكذا القلوب تتلألأ كالكوكب الدري كما ضرب الله لها مثلًا في القرآن ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[النور:٣٥]

۞ فعلى قدر الابتلاء يكون الاصطفاء وعلى قدر التعرض لنفحات الله تكون الرحمات والبركات لتصيغ القلوب الكبيرة والأرواح العظيمة.

۞ وهنالك يبتان الحق من الباطل ويزهق ذلك الباطل من الأرض كلها بعد وصوله في تلك القلوب الزجاجية النقية الشفافة ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧].

۞ لكي نفهم عنه لكي نعرفه لكي نعلم ولا يعقلها إلا العالمون، هذا الزبد من الشهوات والشبهات وتجليات الباطل ومظاهره في النفس والمجتمع من رؤى نظرية وعمليات حركية لصد البشر عن طريق النور وكفهم عن رؤية البراهين الشافية والآيات النورانية الباقية كل ذلك إلى الجُفاء إلى مزبلة التاريخ....

۞ وأما الذي يبقى ويتصل بمعنى الخلود والبقاء فهو ما اتصل بالباقى الوارث تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من معنى جميل امتثل في القلب والروح وكلمة صدق خرجت من اللسان وحركة

جارحة لم تتحرك على الأرض وحسـب بل شـقت طريقها إلى السماء بعملها لوجه الله والدار الآخرة.

۞ وهـذا خلاصة ما قاله الإمـام مالك في مقولته التي كتبـت بماء الدموع: «مـا كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل».

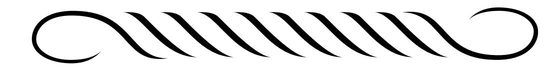
۞ أخـي يا من ترجو أن تكون مـن أصحاب القلوب الكبـيرة والأرواح العظيمـة اسبح مـع شـلالات الروح واجعلهـا تغمرك بجمالهـا وأحضانها الدافئة مع استسـلام وإخلاص وتيقن أنك سـتهدى لسـبيل الله وسـتخرج من الظلمات إلى النور...

۞ جاهد نفسـك وهـواك وتَعَلَّم واعمـل واصْبر على مواجيد الشـوق والحب فإن المرء يبدأ الطريق حاملًا نفسه عليه وينتهى به الأمر محمولًا إلى الله برعايته وتوفيقه.

۞ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].



[الشورى:٤٧]



NKøØ f ǬHǬkł G ØШk

﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم ﴾

ربنا الله تبارك الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى... الله الـذي خلق ورزق ودبر جـل وعز فهو الذي خلقنا من عـدم ووهب لنا الحياة.. ألا يسـتحق أن يأمرنـا وينهانا بما فيـه خيرنـا وسـعادتنا . ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ .

الاسـتجابة في كل أمـر بتطبيقه وفي كل نهـى بالانتهاء عنـه أخي... أن تعيش الحيـاة... وهذا العيش هو في طاعة الله والاستجابة لأمره .

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾

[النحل:٩٧].

الاستجابة تكون لله سبحانه وتعالى .. لا للأهواء والشهوات لا للشياطين من الإنس والجن .. الاستجابة لله ولرسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

الانطلاق إلى الله استجابة وراء استجابة لتحقيق الوظيفة التى من أجلها خلق الله الإنسان على هذه الأرض ألا وهى العبودية

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾لتحقيق تلك الحياة الطيبة .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

نلبي نداء الله ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

لبيـك اللهم لبيك .... اسـتجابةً وطاعةً وانقيادًا وإذعانًا......... لبيك وسعديك في خدمتك وعبادتك... ليـس فقط بصـلاة وزكاة وعمرة وحـج .... بل بالحياة كلها.... أبذل أنفاسي وأوقاتي وجهودي وعمري ومهجتي في سبيلك...... اللهم تقبل منا يا رب العالمين.

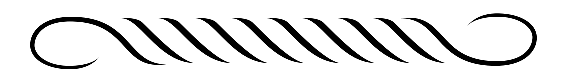
K

ηǾǩǨǯΣ ΘÊǭǬơ

:ǺǩǨǖơ ǴǩǸā Ǽə

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾

[آل عمران: ٧٩]



۞ مـن فقـه السـير إلى الله أن يعـيَ السـائر أن الطريق درجـات ومدارج في الإيـمان والعرفـان بالرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأنـه منـازل ومقامـات ينتقـل العبـد مـن عُلـوه إلى أعـلى وأرفع.. وإن توقف عن السـير فإنه ينتقل إلى سفل وأسفل ولا توقف ولا سكون بل هي الحركة الدائمة إما إلى الأمام أو الوراء ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر:٣٧].

۞ فالإيـمان يزيـد وينقص يزيد بالطاعـات والقربات وينقص بالمعـاصي والمخالفات، وهكذا أيها السـائر ينبغي أن تعلم أنه عليك أن ترتقي في كل يوم درجة ولا يسـتوى يومك وأمسك، قال أبو سليمان الداراني للجنيد: «إذا استوى يومك وأمسك فأنت في نقصان» فما بالك إذا نقص يومك عن أمسـك كيف يكون الخسران؟! قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر].

۞ فكل يوم معاملة جديدة ومذاق إيماني رغيد وحلاوة وأشـواق وأحوال راقية مـع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فالعمر واحد لن

يتكرر وإنما سمى عمرًا ليُعَمَّر بذكر الله والحياة معه وقضاء الأوقـات واللحظات في قربه وولايته والخضوع بين يديه، فهكذا تكون الحياة...

۞ مدارج الآيات في القرآن ومدارج المنازل الربانية في سنة النبي العدنان ﷺ .

- كل آيـة وحديث زيادة في الإيمان بما هو قول وعمل بـما فيهـما من قلـب ولسـان وجـوارح صناعة إلهيـة لذلك الإنســان و في كل ذلك أنس بالله مع مجاهدة النفس للصبر على حكمـه الكـوني والشرعى لاسـتكمال مراتب خالص العبوديـة ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور:٤٨].

۞ مـا أجمل التدرج وما أجمل تلـك الربانية التي تأخذ بالصغـار قبـل الكبـار!! تبدأ بمنزلـة منزلة ما أحـلى منزلة الحب بعـد منزلة التوبة أو معها، وما أجمل منزلة الرسـوخ بعد منزلة الكد في طلب العلم وما أروع منزل البلاغ المبين بعد تلقي الوحي من الله الكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ!!

۞ لا نحتاج ونحن الآن أمام هذا الجمال نطالعه ونكشف أسراره إلى الترهيب من القفز على المراحل والتشبع بما لم يُعطَ الإنسان كما صح ذلك عن النبي ﷺ : «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**» [صحيح مسلم].

۞ وقيل من تعجل شيئًا قبل أوانه عُوقب بحرمانه كثير من الناس يريد أن يكون العلامة والفهامة والولى والشيخ الآن بدون تدرج ولا مرحلية، تغلبه نفسه الأمارة بالسوء على إرادة العلو حتى إن لم يرد فسادًا ولا تصفو له الدار الآخرة إلا بالتخلي عن تلكما الإرادتين ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

قال يحيى بن معاذ: «لا يفلح من شُمَّت منه رائحة الرياسة».

۞ تريد الدنيا أن تسرق منه جمال المرحلة التي يعيشها، مرحلة الابتداء أو التوسط... ما أجمل أن تعيش مرحلتك إن كنت جنديًا أو كنت قائدًا ولا تكون قائدًا حتى تكون جنديًا.

۞ ليس النجاح والفلاح في القفز على المراحل ولكن الفلاح والنجاح في عيش المراحل والتزود من أنوارها لاستكمال الطريق... الروعة أن تكون قائدًا في كل مرحلة أنت فيها.

(إن كان في الساقة كان في الساقة وإن كان في الحراسة كان في الحراسة) كما قال الرسول ﷺ: «**طوبى لهذا العبد**» [رواه البخاري]...

۞ لا تلتفت إلى الأضواء وتجرى وراءها وتلهث فهذه أعمال دنيء الهمة ولكن كن عظيمًا... بطلًا.. فارسًا... فتلتفت لك الأضواء... ولا أخفيك سرًا في هذه المرحلة المتقدمة لن تشعر بالأضواء والشهرة حتى... ولن تفكر فيها أصلًا بل سيكون همك هو مرضاة ربك ومراقبته والعمل من أجل رضاه، ولن تنظر إلى الألقاب والمدح والثناء.. لن تعيرها اهتمامًا.. ستجر الأضواء أذيال الخيبة لأنها لم تنل من قلبك الكبير - الذي وسع ملكوت السموات والأرض وتدفقت فيه شلالات الهدى والنور والوحى وطيبته ورققته وأصلحته فأصبح سليمًا مطيعًا لرب رحيم

ودود تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بأدنى نظرة و هنالك ستشعر بجمال الصلة بالله والأنس حتى ولو لم يشعر أحد بمكانك.

۞ قال أيوب السختياني والله ما صدقَ الله عبدٌ إلا سره ألا يُشعر بمكانه...

- ولن تشعر أخي بجمال التمكن من المراحل الراقية والمدارج السامية.... إلا إذا عانيت التدرج والارتقاء.

- وهذا هو طريق الربانية في العلم والعمل والدعوة.

۞ قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: الرباني من يأخذ صغار العلم قبل كباره، لن تستطيع أن تعي وتفهم (المغني) في الفقه إلا بعد (العدة) و(منار السبيل)... لن تجيد فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية إلا بعد (الأصول الثلاثة) و(فتح المجيد) ومعارج القبول).. لن يجدر بك أن تتغنى بقراءات القرآن إلا بعد ختمة قراءة واحدة أولًا... وهكذا في بقية العلوم والفهم فضلًا عن الفقه والاجتهاد والفهم عن الله، والاستقراء الذي يحتاج لطول مجاورة ومكث على العلم وعمر مبذول.

- قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس[1] البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب تُعْرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض.

أخـي لـن تـنـال الـعـلـم إلا بستة
سـأمـضـيـهـا لـك بحـسـن بـيـان

ذكـــاء وحـــرص وغـــربـــة
وافتقار وتلقين أستاذ وطول زمان

۞ لست بصدد شرح البيتين للحجة العلامة الإمام الشافعي ولكن الشاهد (وطول زمان) الصبر.... الصبر.... به يرتفع القدر ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]، وبالصبر ارتفع الزيت على الماء لأنه صبر على الطحن والعصر وبالصبر يرتفع القدر فلا داعي للتشنج في المذاكرة والحفظ و كأنك ستحصِّل العلم كله مرة واحدة فكما سيأتي سريعًا سيذهب سريعًا ولكن نحتاج الى علو همة وجدية في الطلب مع رزانة في الفهم والتحصيل...

(١) فلان حِلْس بيته: إذا لم يغادره.. والحلس: ما يبسط في البيت.

سُئل ابن سيرين كيف حصلت العلم؟ قال: مسألة وراء مسألة عبر الليالي و السنين. وهكذا في خبرات العمل والدعوة...

۞ ما أجمل أخي أن نصبر ونصابر ونرابط في سفرنا إلى الله وسيرنا إليه حتى نشتاق ونشتاق فإذا فزنا بالوصول بعد الكدِّ نذوق طعم الجزاء فيقول الله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

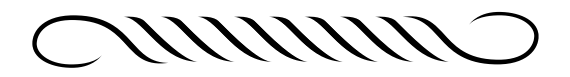
۞ لابد من جهد واجتهاد وصدق وقد يسبق الإنسان ولا نحجر على أحد ولكن تبقى السنن الكونية والشرعية لابد من اعتبارها والسير في رحاب فهمها وفقهها وعدم مصادمتها حتى نُبقيَ على جمال المنازل وجمال المرحلة التي نحياها لله ونأنس فيها به ونخلص فيها له، ولا ننجرف مع الأضواء وحب الظهور وشهوة العلو على الأقران حتى ولو تفاوتت القدرات والطاعات.... فابذلوا كل طاقاتكم في مواضعها... وأخلص قلبك لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا تضيع اللحظات وليكن شعارك أن تعيش اللحظة في طاعة الله فأنت لا تستطيع أن تسبح في نهر الحياة مرتين..

ولتكن إذًا سـباحة عـلى بصيرة وصبر مع مسـابقة إلى الخـيرات في إطار مرحلتك ومنزلتك وإذا كنت على دربهم فما أسرع اللحاق بهم!!

K

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

[الأنعام:١٢٢]



﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢]، البعد عن شرع الله موت والقربُ من الله وشرعه حياة، مجتمع المؤمنين مجتمع أحياء ومجتمع العصاة والمجرمين مجتمع أموات ظهرت رائحتهم في كلماتهم وأفكارهم يريدون حرية حتى ولو في الكفر والزندقة والإباحية ويظنون بذلك أنهم يعيشون الدنيا وهم في الحقيقة يموتون.

ما طابت الحياة إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا بعفوه، وما طابت الجنة إلا برؤيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

۞ نعم الحياة الطيبة فى ذكر الله فى العمل الصالح فى العلم النافع فى الدعوة إلى لله فى الحب فى الله فى المعاملات الصادقة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

۞ لا يستوي الحي والميت ولا يستوي الذي في النور والذي في الظلمات ليس بخارج منها إلا بإذن الله لا يستويان في العقل ولا في الحس ولا في الشرع ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يجرون وراء أهوائهم متغافلين عن آلامهم وشقائهم وتعاستهم في بعدهم عن خالقهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ فهل من بعث من قبور الشهوات والمنكرات.... هل من بعث للقلوب... هل من حياة جديدة في رحاب طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ .... اللهم أحينا.

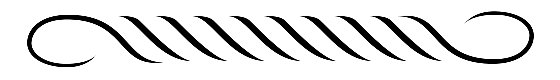
K

ηǾǩĸǮΣ ΘÊǭǮơ

:Ǻǩĸǖơ ǴǩǸā Ǽə

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾

[النور: ٣٥]



3NٰooooDzkł ğpły√Σ

تـشرق الأنوار مـن القرآن عـلى القلوب على حسـب بصرهـا وبصيرتها وقدرتها على اسـتيعاب تلك الأنوار من كلام العزيز الغفار.

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

[النور:٣٥]

قـال أُبيّ بن كعب وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «مثل نوره في قلب المسلم» الله ينير القلوب على حسب طهارتها وتطهرها وعلى ذلك يترتب نهلها من كلامه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكلما طهرت لا تشبع من كلام الله (قال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم).

وكلما اسـتنار القلب وأصبح مشبعًا بالنور من القرآن ومعانيه كلما تدفقت أنواره في جداول النور وهي الجوارح

مصـب الأنوار من القلـب النبع الصافي لـكل التصورات المسـتقيمة والإرادات الحسـنة الخالصـة قـال أبـو هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القلـب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت الجنود وإذا خبث الملك خبثت الجنود».

فتجـد النور عـلى الكلـمات الدالة على عمـران الفؤاد بمحبة الرحمن.

وتجـده أيضـا عـلى الأركان الباذلـة جهدهـا في خدمة الديـان تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من ركوع وسـجود وسـعي في نشر الخير وخدمة المسـلمين فالأعـمال الصالحة عمومًـا هي الأوعية لمواجيـد القلـب وأنـواره.. وتجـد هـذا النـور جليًـا عـلى الوجـوه.. فالوجـه خريطـة القلـب وعليه تظهـر صفات القلب والروح.

وفي أثر عطاء بن يسـار رَحِمَهُ اللَّهُ الذي ذكره ابن القيم في روضة المحبين إشـارة إلى ذلك حيث قال: «سـأل موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربـه: رب من هـم أهلك الذين هـم أهلك الذين تظلهم في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك.

قال: هم البريئة أيديهم المطهرة قلوبهم الذين يسبغون الوضوء على المكاره الذين إذا ذُكِروا ذكرت بهم وإذا ذكرت ذكروا بي».

إذا رؤوا ذكر اللهُ.. وكأن قسمات وجوههم تَدُلُّك على قلب ضارع في محراب العبودية

قال جعفر بن محمد: «كنت إذا أحسست من قلبي قساوة أذهب إلى محمد بن واسع فأنظر في وجهه نظرة فإذا وجهه وجه ثكلى فأخشع عليها أسبوعًا».

أسبوع من الخشوع لما في الوجه من تدفقات النور في ذلك الجدول الجميل.....

قال ابن عباس: إن للطاعة نورًا في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، وإن للمعصية ظلمة في الوجه، وضعفًا في البدن، وضيقًا في الرزق.

قال عبد الله بن مبارك: كنت إذا نظرت إلى الفضيل جدد لي الحزن ومقتُّ نفسي.

ويـزداد فيضـان الأنوار من القلب عـلى الجوارح أكثر وأكثـر إذا كانت تلك الأنـوار نفعها يتعدى للناس فتصبح الأعمال دائمة لا تنقطع

من علم ينتفع به.

أو صدقة جارية.

أو ولد صالح يدعو لك.

أو توريث مصحف.

أو حفر نهر.

ولعصرنا أيضًا توزيع الكتـب والمطويات والأقراص المضغوطة والشرائط والدلالة عليها وتلاوة القرآن تعليمًا، وتدريـس العلـوم الشرعية وكلـما انتفع إنسـان بالنور من تلك الأعـمال الصالحة واهتدى كلـما ازداد النور في الوجه والجـوارح وكلما أفاض الله برحمته من أنـواره وبركاته على ذلك القلب.

ولذلك الدعاة والعلماء الربانيون يجدون في قلوبهم ما لا يجـده غيرهـم إلا إذا اقترب منهم ومـن أعمالهم فهنالك يجـد أنوارًا مـن ذوق المعارف الإلهيـة والربانية ولذلك من

نعيـم الحياة أن تصحـب عالمًا وليًّا ربانيًا ومن نعيم الجنة أن تصحب الأنبياء والمرسلين.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

إذا وجـدت جداول النور مظلمة مقفـرة جافة فاعلم أن القلـب تائهٌ عن درب النـور مظلم يحتاج للتزود فعليك بالقـرآن تلقيًـا وتنزيـلًا عـلى أدواء القلـب، وتدبـرًا وفهمًا وتغنيًـا. فتنفتق لك طاقة نور تتدفق منها الأنوار من جديد للجوارح والأعمال.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشـورى:٥٢] ولا تحسـب أن أمـر التدبـر والتفهـم للقرآن قـد بَعُـدَتْ بينك وبينـه الشـقة... لا بل ابـذل من وقتك في التلاوة والسـماع وسـوف تتـذوق حتى وإن كانت بضاعتـك قليلة في العلم

فلقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر:١٧] تزود من الأنوار لتملأ تلك الجداول قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء**» [صححه الألباني في «مشكاة المصابيح»] **خذ بحظك** من الأنوار قال ﷺ: «**بشر المشَّائين في الظُلَم بالنور التام يوم القيامة**» [أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رجاله ثقات] ادع بدعاء النبي ﷺ إذ كان يذهب للمسجد: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا اللهم أعطني نورًا**» (متفق عليه).

تلك الأنوار المعنوية تنقلب يوم القيامة أنوارًا حسية تُرى وتُعاين والخلائق من المسلمين يمرُّون على الصِّراط فمنهم من نوره كالشمس ومنهم من نوره كالقمر ومنهم من نوره على إبهام إصبعه يضيء مرة ويخفت مرة ومنهم المنافقون الذين يؤتون نورًا في أول الصراط ثم ينزع منهم في وسطه فينادون المؤمنين في خشوع وحسرات

على الأيام الخالية في الدنيا مرَّت وجداول النور مقفرة ومظلمة ولقد وصف الله هذا المشهد المهيب بعد الدعوة للتصدُّق والبذل في تلك الآيات التي تداوي القلب من جراحات الدنيا الكالحة فقال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١١-١٦].

ألم يأن لنا أن تخشع قلوبنا وتمتلئ حبًا للآخرة وشوقًا ونورًا يبدد ظلمات الدنيا من ظلم للنفس من ذنوب ومعاصٍ وكبائر وظلم أكبر وهو الشرك بالله في التصورات والإرادات فالظلم ظلمات يوم القيامة ولا ينقشع إلا مِنْ هنا.... من تدفق الأنوار في جداول النور...فالتمسوا نورًا....

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

K

Ɛdžŭǖkłþ

لا يـزال ليلُـك ...نهـارُك ...أوقاتُـك... لحظاتُك...
أنفاسُـك... تعصِرُك عصرًا حتَّى يسـتحيلَ جسدُك الغضُّ
الطريُّ جيفةً يعلوه الترابُ وتُنزع منه الروح ويفقد الحياة....
ولا يبقـى إلا أحـد المصيرين.... الخسران....... أو نعيم
الحيوان... ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

K

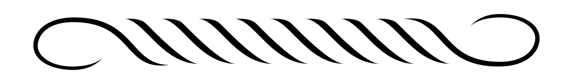
ηǾǩǩǮΣ ΘÊǭǶơ

:Ǻǩǩǖơ ǴǩǸǟ Ǽə

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ١١ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾



[الواقعة: ١٠ – ١٤]



۞ شخصية فريدة... بطولة عتيدة.... فروسية حقيقية، ذلك الفارس المغوار والبطل الذي يشق بفرسه الظلمات وتتبدد تحت سنابك فرسه الشهوات والشبهات وبغرته وسيقانه المحجلة تتدفق الأنوارلتنير للسائرين وراءه الطرقات... فهو العالم الفذ، والعابد المتأله والمصلح المفكر، والمجاهد بالبيان والسنان يحمل رسالة الهدى والنور التي لا تعرف الحواجز الأرضية ولا الحدود الجغرافية فهى بحق عالمية ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

[الأنبياء:١٠٧]

۞ هذه الرسالة لا تبني قصورًا على الرمال ولا تترك الواقع معانقة للخيال بل هي تعالج الواقع بكل علله مصطحبة ثوابتها ومبادءها وربانيتها فهي بذلك واقعية وهي أيضًا لا تقصر نفسها على مجال في الحياة دون مجال بل هي صاحبة نظرة شمولية للدين والدنيا وظيفتها حفظ الدين وسياسة الدنيا به.

۞ رسـالة عظيمـة تتدفق رحمة وهـدىً ونـورًا وإيمانًا ينهل البشر منه فما يزيدها الانهال إلا فيضانًا وبقاءً وخلودًا عـبر الزمان والمـكان ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد:١٧].

۞ انطلـق فارسـنا مؤمنًـا برسـالته العظيمـة يسـبق إلى مـراضي الرحمـن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يسـمع كل هيعـة وصيحـة ليجيبهـا.... يـا خيـل الله اركبـي، فيجيب ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه:٨٤].

۞ هـذه الاسـتجابة في كل خـير وفضـل لا يألو عـلى الدنيـا ولا يلتفـت إلى الأغيـار ولا حتـى المنافسـين وهـو صـادق التوجه مسـتعينًا بـالله يعلم قوله تعـالى في الحديث القـدسي «**واغزهـم نغزك**» [رواه مسـلم من حديث عيـاض بن حمار] كل يوم غزوة في سـبيل الله... انتصـارًا على النفس الأمارة بالسـوء وشـياطين الجن والإنس، حتى خرجت نفسه من نفسـه فأصبح رجلًا بمعنـى كلمة رجولـة... وأيضًا ليس أيّ رجـل بـل مـن رجـال الله ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٣].

۞ اختلط حب الله بشحمه ولحمه... اختلطت أنفاسه وزفراته بهموم أمته ألمًا وأملًا... ترحًا وفرحًا، فاكتسبت حركاته وسكناته صبغة العبودية والربانية، فأصبح لسان حاله يخاطب ويناجي ربه استجابة وراء استجابة.

۞ ليست الاستجابة في عبادة دون عبادة ولا وقت دون وقت بل يقول من أعماق فؤاده وكيانه... لبيك اللهم حياة كاملة وعمرًا وافرًا، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

۞ لقد طال عليه الليل وهو يفكر في أمر أمته في آلامها وآمالها حاضرها ومستقبلها، أليس لهذا الليل نهاية...ألا لكل ليل آخر، ولكل ظلمات فجرٌ، ولكن هل لك أيها الفارس دور؟؟ فالفجر آت لا محالة ونصر الله قريب، والله متم نوره ولو كره الكافرون، فلا تقلق إلا على نفسك.

۞ أيها الفارس دورك يتأتى أولًا باعتصامك بالله في أن تمشق سلاحك البتار وسيفك البراق الذي يفرق بين

الحـق والباطـل هـذا هو القـرآن النـور والـروح والحياة.. القـرآن يصنع الفرسـان، يخرجهـم من الظلـمات إلى النور ومـن جملة الأموات إلى حقيقة الحيـاة ويهديهم بإذن الله إلى صراط مسـتقيم ثـم الصبر على عقبـات الطريق فإنماالنصر مع الصبر...هذاالدور يحركه صـوتٌ عنيفٌ ينطق به حال المسلمين في كل مكان.

۞ هـذا الصوت هز أعـماق آخر الفرسـان.. فعلم أن الوقـت حان ولابد من تدارك الزمان وتحقيق الإيمان.. من علم وعمـل ودعوة إلى الرحمن، فقام يجـوب الدنيا يُعَبِّدَها لله يربط بين الأرض والسـماء والدنيا بالآخرة يدعو إلى الله ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله!!.

۞ يمتطـي في ذلك الليـل والنهار والسـهول والقفار ليصـل إلى ربـه غاية أمره ومناه العزيـز الغفار، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح:٥].

۞ يريـد أن يأخـذ بنصيبـه مـن شرف التجديـد ان لم يكن هوالمجدد فهو مشـارك بـاذل في تجديد أمر الدين (إن الله يبعـث عـلى رأس كل مائة عام من يجـدد لهذه الأمة أمر

دينهـا) [صححه الألباني] فيأخذ مـن إرث النبـوة ذلك النهر الثجـاج من العلم النافع والعمل الصالح والدعوة إلى الله، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

۞ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر:٣] علـم بالـشرع أصيـل رصين وعمـل متواصل في الصلاح والإصـلاح، ولا يفتأ ذلـك الفارس عـن الصيام والقيـام وقراءة القـرآن، وذكر الرحمن، وهو هو من يُعلِّم ويتعلم ويشارك في إصلاح أمته وإن خفـى مكانه وقَلَّ من يدري عنه ويحسـب له حسـبانه فهو بحق رجل الصـدق والإخلاص والتجرد «إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة» [رواه البخاري] فهو رجل المرحلة، وهو آخر الفرسـان الذي سـوف ينطلق وحده ثم سـتنطلق خلفه جحافل الفرسـان المجـددون المقتدون بقائدهم فهو آخر الفرسـان صبرًا على التفـرد والغربـة ففاز بالوصـل قبلهـم وبالدلالة على الخير دونهم جذبه عبق السـلف والأجداد في السبق في الخيرات ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾.

۞ هيا أيها الفارس النبيل فالعالم ينتظرك ويترقب قدومك يعد اللحظات لكي يرى صاحب القلب السليم النقي الصافي الصلب كالزجاج الذي ضرب الله به المثل في القرآن لقلب المؤمن الذي يسافر به قبل بدنه وفرسه، فهل من رجل على ذلك الوزان حتى يفوز بلسان الصدق في الآخرين ويُذْكَر عبر الزمان... بآخر الفرسان....؟

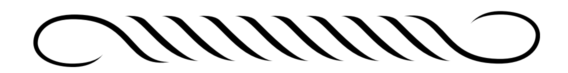
K

ηǾǩǨǮΣ ΘÊǭǂơ

:ÅǩǨǖơ ǴǩǸā Ǽə



[الطور: ٤٨]



١- اعبد الله كأنك تراه:

شعور بالأنس والمشاهدة لجلال الله في جنح الليل وآناء الأوقات محبة صادقة نابعة من آيات النور تنطبع في قلب المؤمن من القرآن

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾.

﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾.

يسيح القلب تلك السياحة الربانية في ملكوت الله.

يقلب نظريه راكعًا وساجدًا لله....ناظرا لتلك الآيات الدالة على قدرته وعلمه وخبرته ومشاهدته لكل شيء..

ملايين... ملايين.... ملايين المخلوقات التي تنعم برعاية الله ورزقه وتدبيره لها وفي ظل ذلك يتطلع

الفـؤاد الولهـان بإلهه ومعبوده لنظرة رضـا من ملك الملوك تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قطرة من فيض جودك... تملأ الأرض ريّا.

ونظرة بعين رضاك... تجعل الكافر وليًا.

والله يـراك ويسـمعك وعـلى عملـك شـهيد وعليك رقيـب ويزداد اليقين والإيمان مع القرآن حتى تشـعر ليس بالرعاية والحماية فقط بل بالقرب الذي يفيض الأنوار على القلب والجـوارح ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.

مراقبـة وإحسـاس. تنـأى... بـك عـن العصيـان والطغيان وإنما خشـوع وخنوع وانكسـار وافتقار بين يدى الجبار الغفار، والشعور بمزيد من العلم بالله... فمزيد من الخشية والسجود والقرب.

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾.

إلهي... فأفض على قلبي نور الأنس بك فإني قد اشتدت غربتي في هـذه الحياة وكثرت عليَّ الفتن فخذ بقلبي ويدي إليـك أخذ الكرام عليك فإني أرفع لك الأيادي مسـتدركًا الرحمة ومستغيثًا بغيث الغفران.

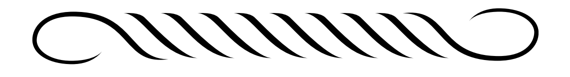
K

ηØǩǩǮΣ ΘÊǭǀơ

:ÅǩǩūơĠǩǸā Æə

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾

[الحجر: ٨٥ – ٩٩]



ŘĂĸШǩŧÞ ĀŢǩŧ ǰØλ ŬŧƸdžǩŧ ЛƷŧҮϜ ηØǩĸƷΣ
Ƹ ʅ ŢǩŧЛƷǸƨ ǬØơŧǸƱ Ǽə ηØЩĸƷæϜ ΘÊǭŧơ -Č

بسـم الله والصـلاة والسـلام عـلى رسـول الله ﷺ .

۞ فـإن المؤمـن في هذه الحيـاة يعلم أنه مبتـلى مختبر في سـيره إلى الله بفتـن شـتى مـن الداخـل والخـارج.. فمـن داخلـه.. معوقـات في النفس الأمارة بالسـوء ووسـاوس شـياطين الجن.. ومـن خارجه.. معوقات مـن جنس آخر مـن الصد عن سـبيل الله وتزيين الباطل وهـذا فعل أعداء الله شياطين الإنس من الكفرة والفجرة والمنافقين.

۞ فالمؤمن في طريق تحقيق العبودية يلزمه جهاد نفسـه وهـواه حتـى يحجمها عـن العصيان ويحضهـا على ملازمة طاعـة الرحمن.. وهكذا عليه جهاد أعداء الله بالقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدع بدعوة الحق.

۞ ومـن هنا يحتدم الصراع بـين الحق والباطل والكفر والإيـمان تلك المعركة القديمة قـدم إنزال الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وإبليس إلى الأرض.. وبعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لأقوامهم المشركين. عبر الأيام والعصور والأزمان.

۞ وكلما ارتقى العبدُ في سُلَّم العبودية كلما ازداد يقينه أن هذا الصراع والتدافع.. أثر من آثار حكمة لله وجلاله وجماله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. بل ويستحق عليه الحمد والثناء والتمجيد ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

۞ ويستحق أيضا الحمدَ على جعل الظلمات والنور ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾.

قدَّر الله أن تكون الأيام دولًا يداولها بين المؤمنين والكافرين ابتلاءً وامتحانًا.. ليرفع درجات هؤلاء ويخفض دركات أولئك.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

۞ والعلم هنا هو علم بأعمالهم بعد وقوعها.. علم شهادة كما قال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «علمًا يحاسبهم عليه» غير العلم السابق على خلقهم وأفعالهم.

۞ فمن خلال ذلك التدافع.. يتعرف العبدُ على أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى ويفهم سننه الكونية والشرعية.. يعلم أن ربه عليم... حكيم...

۞ هو العليم يعلم كل شيء... ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون... يعلم الأحوال على ما فيها.. والمآلات.

۞ هو الحكيم حكيم في أفعاله... يضع الشيء في موضعه.. يضع النعمة في موضعها ويضع العقابَ في موضعه.

۞ ومع ذلك لطيف بعباده يدبر لهم في خفاء وجمعت كل هذه الأسماء آية حكاها الله على لسان الكريم بن

الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد ما لاقى من أنواع الأذى والبلاء ما لاقى.. وآل أمره إلى العزة وعلو الشأن فتأمل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تدبير ربه وفعله وقال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

۞ على العبد الرباني ألا تزيده المحن... إلا منحًا في الإقبال على الله وحبه وحمده والرضا به..

۞ عليه أن يسير إلى ربه رغم العواصف.... والمعارك.... والتدافع حتى يصل إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد» وأعظم مؤنس له في ذلك كلام العزيز الحميد.. الذي يقعُ من القلوب موقع القطر من الأرض التي طال ظمؤها و تشققت أحشاؤها تضرعًا للسماء أن تهطل عليها رحمة وحياة.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

۞ والآن نقـف عـلى أعتـاب بحـر القـرآن الثجَّاح.. الفيَّـاض قُدُمًـا مـن بوابة الغيب نرتشـف سـويًا مـن لذيذ معينه... مع سـورة الحجر سورة مكية أصلًا وفصلًا.. مع خواتميها.. زبدة ما فيها من توجيه وتربية ربانية إلهية.

فهل لدينا قلوب.. تملأ بغيث الهدى.

نسأل الله أن يهب لنا قلوبًا ندرك بها الحياة مع القرآن.

K

ĞĂǁǁĞłþ ĀŢĞł ĵØλ ŬłƐdžĞł ɲƷłYƑ ɳØĞǁǮΣ -č

لله الأمـر من قبل ومن بعد، إليه يرجع الأمر كله، إليه تصـير الأمور، فمـن أراد أن ينتصر في ذلـك الصراع فعليه بالرب القدير النصير.

فالأمر من هاهنا..... من السماء.

وليس من هاهنا......أي من الأرض وأسبابها.

علينـا أن نفهم كيف يُدار ذلـك الصراع.. بأن نعتصم به تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ونلون برحمته ونستعين بعزته فلا يُرد أمره، ولا يهزم جنده، سبحانه وبحمده

فلنعلـم إذن أن العـزة والنـصر في جـواره تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، واسـتمداد العـون منه ومعرفـة إرادته في خلق السـموات والأرض، والأخذ بأسـباب النصر التـي شرعها لنا، نحن عباده الضعفاء في مواجهة شياطين الإنس والجن، في ذلك التدافع والصراع و الذي بمقتضاه تظهر آثار أسمائه الجميلة الجلية.

فأصغ سمعك إلى تلك الكلمات التي تنير الظلمات: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾.

فالله خلق السموات والأرض بالحق، ولولا الحق لما خلقهم، وهذا الحق هو ما قال فيه تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

فخلق الخلق لغاية جليلة وهى تحقيق العبودية وإجراء الابتلاء على ذلك، في الحياة الدنيا ثم بعد ذلك يأتى الموت والدار الآخرة فيحاسب العباد على ما اقترفته يداهم كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

ولذلك عَقَّبَ اللهُ ذكر الحق الذي خلق الله به السماوات والأرض بذكر الساعة..فقافلة المؤمنين الموقنين تسير بين الرغبة فيما عند الله والرهبة مما أعده للمجرمين.... وهذا الإيمان باليوم الآخر أصل جمال السير إلى الله تعالى خوفًا ورجاءً وإخلاصًا وبذلًا وتضحية بل هذا الإيمان العميق يجعل المؤمن يستعلي على الكفر ويرى موازين الأرض

ضعيفة إذا قوبلت بجنود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وهنالك في ذلك اليوم العظيم يقتص المظلوم من الظالم، ويقضى بين الخلائق كلها بالحق ويقال الحمد لله رب العالمين.

رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شاتين تنطحان فقال: «**يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان؟**» قال: لا قال: «**ولكن الله يدري وسيقضى بينهما**».

[أخرجه ابن كثير في «البداية والنهاية» وقال: إسناده جيد حسن]

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾.

ذلك اليوم المشهود..ذلك اليوم العظيم.. الحاقة.. الواقعة.. القارعة.. الصاخة.. الطامة الكبرى.. الله... يتجلى ملكه وسلطانه وينادي ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾.

بـل جمْعُ العباد فيه من آثار رحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾.

هنالـك شـقي وسـعيد.. ففريـق في الجنـة وفريـق في السـعير، فلتشـخص الأبصـار لذلـك الهول الكبـير والهم العظيم.. ولا تلتفت إلى أذى أو تضيق أو تحكم أو استهزاء أو عدوان ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾.

وهو الصفح الذي لا عتاب معه وهذا سر جماله وهكذا العارف الذي استغنى- بما فاض الله على قلبه- عن الناس ومطالبتهـم بحقه، ولا يكـون ذلك الاسـتغناء إلا بصدق معرفة الله بأسـمائه وصفاته، كما كان حال يعقوب ويوسف عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.. في صبر يعقوب ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ وإحسـان يوسف ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فالتعلق بأسمائه وصفاته أهم من المطالبة والمعاتبة والمضاربة.

وكان شـيخ الإسـلام يقـول: العارف لا يـرى له على أحد حقًا، ولا يشهد له على غيره فضلًا، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فتعرض لرذاذ المعرفة بإلهك الحق فما الدنيا والآخرة إلا أثر من آثار خلقه وعلمه، فهو يخلق ويميت ويحيى ويعلم ما تنقص الأرض من الموتى ويعيد الخلق مرة أخرى وهو أهون عليه ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ فهو رب العالمين وربك أنت... فتفيء ظلال القرب لمشاهدة آثار خلقه ورحمته...

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

مطالعة تلك المشاهد تهب القلب قوة في مصاولة الباطل وتصقل القلب وتملؤه نورًا فيستعد لتلقى كلمات الله... القول الثقيل..

فاستعد للنعمة الكبرى والمنة العُظمى.

من يحمل القول الثقيل؟؟.. من يتهيأ لتلقي النبأ العظيم؟

من يتلقى مصدر الحياة والنور والهدى؟

۞ إن قلب المؤمن بالله واليوم الآخر الذي يتسع للإيمان واليقين بالقرآن العظيم.. كلام الملك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. وما أدراك ما كلام الله تعالى؟؟ صفة من صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تكلم به حقيقة وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأداه كما سمعه للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

۞ كلام الله.. الذي خلق الإنسان وخلق الأكوان.. ومن بيده ملكوت كل شيء إنه الله العظيم.. فمن يقف أمام المؤمن.. وقد اتسع صدره لتلقى كلمات الله ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ من يغلبه إذا كان متصلاً بالله ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.. كيف يستخفه الذين لا يوقنون وهو قد ارتبط بالقول الثقيل في ميزان الحق ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾.

۞ إنها نعمة القرآن وكفى بها نعمة.. وكفى بالقرآن معجزة لحسم الصراع بين الحق والباطل.. فإن كانت عصا موسى قال عنها الله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. فما بالك بالذى قال فيه الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾.

۞ ما بالك بالذى قال عنه العزيز الحكيم الحميد: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾.

۞ إنه القرآن.. الذي يثبت فؤاد الداعية للحق رغم الصفعات المتلاحقة من الصد عن سبيل الله.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾.

۞ ولذلك جاء الامتنان على النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتلك العطية الهنيَّة من الرب الرحيم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

۞ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر:٨٧-٨٨].

۞ نعمة جزيلة - السبع المثاني وهي على الراجح آيات سورة الفاتحة كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أمُّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**». وسميت المثاني لأنها تكرر في الصلوات - ومعانيها مبثوثة في القرآن فتجمع حقائق القرآن ومجملات وأصول الاعتقاد والشريعة وهي أفضل سورة في القرآن كما في حديث أبي سعيد بن المعلى الذي رواه البخاري..

۞ والقرآن وُصِفَ بالعظمة.. لمعانٍ كثيرة منها عظمته في رصانة ألفاظه - وثقل معانيه.. وبلاغة أسلوبه وبيانه.. وجمال تراكيبه.. وأسره للعقل والوجدان.. وعظمة أثره في صناعة الرجال وتربية القلوب تربية ربانية على حقائق الإيمان وصفاء الإرادات واستقامة السلوكيات.. كل ذلك تجده في القرآن غضًا طريًا نعمة ورحمة من الله وكل نعمة

في القرآن يلحقها تكليف.. وأمر للقيام بالشكر لرب العالمين.

۞ فجاء التكليف وفى طياته تسلية عن الدنيا ومتعها وأمر بالارتفاع عن الخلود إلى الأرض.. وعدم الالتفات عن هذا النور ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾.

۞ فلو كانت تساوي.. لما سقى منها كافرًا.. ولكنها جناح البعوضة يطيش بها.. ولقد أعطاها كاملة غير ناقصة لعدوه إبليس فكيف ينظر إليها ولو بطرف عينه حبيب الله وولي الله.. لا تجذبنَّك.. ألوانُها وزينتُها.. فهى زهرة خلابة الألوان.. سريعة الذبول، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾.

۞ وتطلع إلى رزق ربك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. رزق القلوب والأرواح.. رزق الأعمال الصالحة.. والقرب من الرحمن.. رزق الدعوة إلى الله والعمل لديه وخدمته فهذا أعظم الحظ

والنصيب الذي يحصله العبد في هذه الحياة أن يسلك طريق الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

۞ ثم إذا سلك ذلك المسلك فعليه بهذين التوجيهين الربانيين من الرب الكريم:

۞ ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾.

۞ لا تحزن على من لم يستجب لدعوتك بعد قيامك بالنصح والبلاغ المبين ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ ولا تذهب ويصيبك الحزن والأسى ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ وارتق إلى مشاهدة حكمة الجليل في وضع الأشياء في مواضعها الخير في موضعه والشر في موضعه، يهدى من يشاء ويضل من يشاء، يخلق ويختار ويصطفى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾، ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾.

۞ فلا تحزن ولا يضيق صدرك ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾.

۞ هذا في تعاملك مع المخالفين، أما الموالفون فعليك بخفض الجناح وهو تعبير كله تواضع ورفق وحنان ولين ورقة فهذا دأب المؤمنين ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

۞ فلا تغلظ عليهم... لاسيما في وقت الضيق والكرب، عليك أن تكون طاقة النور وسراجًا منيرًا حتى لا ينفضوا من حولك ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.

۞ وكان ابن القيم يقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية: (كان أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرَّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا

الارض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة).

قال يحيى بن معاذ الرازي: وليُّ الله ريحان في الأرض، فإذا شمه المريدون ووصلت رائحته إلى قلوبهم اشتاقوا إلى ربهم.

۞ أحسن في عبادتك مع الله... استعن بالله.... يُفِض الله على قلبك بواردات النور.. والثقة في الرب الشكور.. فإذا قلبك يتسع لجميع الخلق، ويتسع خُلُقك معهم رفقًا ولينًا وتواضعًا، كن كما قال عبد القادر الجيلاني مع الخلق بلا نفس ومع الله بلا خلق.

۞ وكل ذلك في حقيقة الأمر لتحقيق البلاغ المبين والنذارة الكبرى لتنقذ الناس من دركات النار.. ولتكون سببًا في نجاتهم ودخولهم الجنة.

﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

- نصحًا وشفقة ورحمة للعالمين.

۞ فالدعوة إلى الله وصدق البذل فيها من أهم وسائل إدارة الصراع بين الحق والباطل بل.. وهي سبب إدالة الحق على الباطل..الدعوة إلى الله سر تخلص الشعوب من أسر الطواغيت مكرهم وكيدهم وسحرهم وتأمل قصة إبراهيم مع النمروذ وقصة موسى مع فرعون وقصة مؤمن آل فرعون.. وغلام أصحاب الأخدود وانظر إلى أثر الدعوة في إزهاق الباطل وعلو الحق والعز والتمكين في الدنيا قبل النعيم في الآخرة.

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾.

۞ وما ضعف المسلمون عبر التاريخ إلا لتضييعهم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. النذارة والبشارة..والدعوة إلى الله..لأنها هي سر خيريتهم.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾.

۞ الدعوة إلى الله سر الخير والتمكين.. وكسر الطواغيت.. وتحرير الأمم.. وبناء الحضارات.. وإرساء

المبـادئ والقيم.. وهدم الباطل وزخارفه.. والقذف بالحق الدامـغ لـكل فسـاد وظلـم واسـتبداد.. ولذلـك لابد من المواجهة والانخراط والاختلاط..

۞ سـتواجه وجوهًـا كالحة..وقلوبًـا كارهـة منكـرة مستكبرة وظلمات وأمواتًا وصدودًا وإعراضًا.. ولابد من الصبر على الحق كما أن الكفرة الفجرة يصبرون على الباطل بل ويقسمون على نصرته وأحقيته في الوجود.

﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

۞ هـؤلاء المقتسـمون الذين يقسـمون عـلى الباطل.
﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾.

۞ وقـد أقـام الله عليهـم الحجة وبين لهـم المحجة فلا عـذر لهـم في التكذيب والعنـاد.. لا عذر لهـم في تكذيبهم ولو لحرف واحد من القـرآن.. فالحق لا يتجزأ.. والحقيقة مطلقة.. أن الله هو الحق المبين.

۞ فليس لهم أن يجعلوا القرآن عضين.. أي يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض..

۞ فيرد الله على قسمهم على الباطل وما هذا القسم إلا باطلًا.. بقسم منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على إحضارهم وإرجاعهم بين يديه وسؤالهم فَهُمْ كَذَبَةٌ.

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴾.

۞ فسوف يرجعهم ويحضرهم بين يديه ويحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة. فيقول المولى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾. قال ابن عباس: عن لا إله إلا الله وهي أهم شروطها وأركانها وحقائقها التي تشمل أعمال الدين كله وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ فعن كل أعمالهم يُسألون، وبهذا تتفق أقوال كل المفسرين.

۞ واعلم أيها النبى وأيها الداعية إلى الحق أنك مسئول أيضًا. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾. عن البلاغ المبين لرسالات الله وكلماته وأوامره. ﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾.

۞ فعليك حمل ثقيل بين يدى الكبير المتعال فقم. ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

۞ وأصل الصدع الشق والفصل.. فالجهر بالدعوة فرقان بين الحق والباطل والكفر والإيمان.. والآيات تختصر لك وتطوى أمامك ثلاثة سنين من الخوف والإيذاء لحفظ سرية الدعوة ثم تنتقل هذه الآية بك إلى مرحلة مختلفة من حياة النبي ﷺ ودعوته إلى الحق.. إنها القوة وشجاعة النفس.. ورباطة الجأش.. في إبلاغ أكبر حقائق الكون والوجود... وجوب العبودية لله الواحد القهار وحده تبارك وتعالى.. وفى غمار ذلك لا تلتفت... عن قضيتك رغم الاستهزاء والسخرية وتعالي نبرة التحقير والإهانة

لكفايـة الله لـك ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

۞ وكان جماعـة مـن الصحابـة رضـوان الله عليهـم يحرسـون النبـي ﷺ فلما نزلت هـذه الآية ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ خرج على الناس وأخبرهم وصرف الحرس رواه البخارى من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

۞ الله يكفيك هؤلاء بما شاء وهو العليُ القدير. ولكن عليـك أن تأتـسي بربـك في صـبره على هـؤلاء المشركين.. المعاندين. قال رسول الله ﷺ: «**ما أحدُ أصبر على أذى يسـمعه مـن الله، يدعون لـه الصاحبة والولـد ويرزقهم ويعافيهم**» [رواه مسلم].

۞ فربك هو الصبور تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويحلم عليهم مع قدرته فكيـف بـك أنت أيها النبـى.. وأيها الداعيـة.. كيف يكون صـبرك!؟.. مـع ضـمان الله لـك بالكفايـة والنصر. ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ فصفـة الحلم لازمة لعباد الرحمن ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾.

۞ فإن كانوا يسبونك ويشتمونك وأنت مبرء من ذلك.. فاصبر فالله أعلى وأجلُّ ويسبه ابن آدم وليس له ذلك ولا يعجل بالعقوبة ويحلم.. فيستحق الثناء والحمد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على صبره وحلمه مع قوته وقدرته.

۞ ثم تأتي التسلية الكبرى.. واللمسة الحانية.. ونبضة الأنس.. والقرب الخاص.. من قلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

۞ وقلب كل منكسر في سيره إلى الله من جراء الظلم والقمع.

۞ وقلب كل مَنْ بَذَلَ وضحى ولم يجد غير الأذى والصدود والنكران.

۞ قلب كل مجروح بجراحات مخالفات المدعوين وعصيانهم لربهم.. غيرة لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

۞ قلب كل متحسر على من تنكب الطريق إلى الله وإلى سعادة الدنيا والآخرة..

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾.

وكأنها شبيهة بأية آخرى من النجوم المتلألئة في سماء القرآن.

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾.

الله هو السميع البصير العليم.. يعلم ما بك من ألم وحزن عميق..حسرات تكاد تقطع القلب على من بارز ربه بالشرك والكفران.. أو من المخالفة والعصيان

الله يسمع قولهم لك..من أذى..واتهام..واستعلاء وعجرفة وسخرية واستهزاء..

وقد قدر ذلك لحكم جليلة جميلة ومن هذه الحكم.. ذلك المشهد المتدفق بالنور.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

لا يتحـرك اللسـان.. ولا تتحـرك الشـفاة.. بالـرد والجـدال.. والمـراء السـقيم.. وإذ مـا تحركـت فبالتسـبيح بحمـد الملك.. والتسـبيح تنزيه لـه عن النقائـص والحمد إثبات المحامد وجمال الصفات والأفعال، وتنطلق الأركان تَهْـوي للسـجود بين يـدي عظمته والتذلـل له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. وهنـا تُفْتَح بوابة القرب على مصراعيهـا.. وهنالك تندمل الجروح وتغسـل القلوب بنسائم اللطف ورذاذ الرحمات.. ويُجـلى صـدأ الاحـزان والأشـجان ولا تبقـى إلا أفـراح الآخرة.. وفيوضات الرضا.

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾.

والتسـبيح والصـلاة.. معنيـان مرتبطـان في القـرآن والسنة لأنهما حقيقة واحدة في تحقيق التذلل.

لـرب العالمـين والثنـاء عليه بما هـو أهلـه.. وتعظيمه وتمجيده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ويـأتي التوجيه الأخـير كالتاج.. والجوهـرة الثمينة في ذلك العقد الفريد.

زبدة الإشـارات.. وأصل الأوامر والتوجيهات ولب إدارة الصراع بين الحق والباطل.

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾.

عليك تحقيق العبودية.. ليس عليك النتائج.

عليك البـلاغ المبين.. ليـس عليك اسـتجابة الخلق.. فإنما عليك هداية البيان.. وعلى الله هداية التوفيق.

عليـك الصـبر عـلى الطاعة.. وعـن المعصيـة.. وعلى الأقدار المؤلمة.. وهو حبس النفس على ذلك كله.

ليس عليك استعجال النصر.

عليك السير إلى الله بدون توقف.. أو تردد.

لا اسـتعجال لموعود الله من النصر في الدنيا أو حتى.. في الآخـرة فالأمـر كلـه بيـده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. لا تتوقـف حتى تصـل بك مقطـورة الحياة إلى بوابة الغيـب.. بوابة الرحيل عن الدنيا إلى الآخرة.. وهي الموت.

كما قال ﷺ: «**أما عثمان فقد جاءه والله اليقين**» [رواه البخاري].

عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وهو يقصد ﷺ: الموت.

ولا تبرح بوابة العبودية صلاحًا وإصلاحًا.. حبًا وشوقًا.. جهادًا وبيانًا.. عملًا وعمرانًا ما دام فيك رمق حياة.

وترك أي من ذلك من طاعة الله هو موت وإن كنت حيًا.

والموت في سبيل الله سبحانه وتعالى: هو الحياة الحقيقية لأن الحياة تقاس بقضائها معه تبارك وتعالى والموت بالبُعد عنه.

فلا استسلام.. ولا ركون أو استكانة في الصراع بين الحق والباطل والنور والظلمات في نفس المؤمن.. أو مجتمعه وأمته إلى إن يأتي اليقين من الله.

فهذه الحقائق.. تهب النفس الطويل.. والصبر.. والصفح.. الجميل.. في تلك المسيرة.....مسيرة التدافع

والابتـلاء التـي نصـبر فيها سـويًا حتـى نصـل إلى موعود الله الجميـل فإن الله صبَّر المشـتاقين بتلك الآية.. وهى نعم الجـزاء والوفاء والأجر الجزيل فهل من متصبر فيصبره الله حتى نصل إلى بر الأمان.. ولقاء الرحمن..

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٥].

K

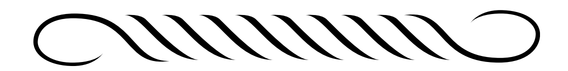


ηǽǸƛƩơ ηǾǩǩǮΣ ΘÊǭƗơ

:Ǻǩǩǖơ ǴǩǸā Ǽə

﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾

[عبس: ٣]



Á g zǽ Ǵǫūǩ Ǥ ǽƷyǟ ƙǭƥ

(نحو ترشيد التربية الانتقائية في مجال الدعوة)

تقـوم كثير من المـدارس التربوية في حقـل الدعوة إلى الله على أساس مذهب التربية الانتقائية وهي تعني البحث عـن الطاقات المحـددة والمواهـب المميزة والتركيـز عليها لإنتـاج كوادر صلبة تقوم عليها الدعوة في كل مكان وهذا لا شـك فيه درب مسـلوك وأول من سـلكه هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النظـر الثاقب في تربية أصحابه رضوان الله عليهم وإبراز طاقاتهم ومواهبهم المتميزة لخدمة هذا الدين وإخراج قـادة يقودون العالم كله بره وبحـره قاصيه ودانيه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى....

ولكـن في خضم ذلـك التركيـز والانتقـاء للأفراد قد تقصر النظرات مع متطلبات المراحل المتنوعة في الدعوات عـلى طاقـات معينـة أمثـال الطاقـات التـي تهـدف العمل العلمى والتربوى فقط ويتـم تهميش مثلًا الجانب الحركي والاجتماعـي والسـياسي والدعـوي على الناحيـة الأخرى أو العكـس.. بالعكـس.. وتتفاقم المشـكلة حين يتم تحقير

كل مـا لا يخدم تلك الأهداف قصيرة النظر ويتم تهميشـها حتـى ولو كانت معروفًا عرفه الشرع وجوبًا عينيًا أو كفائيًا أو ندبًـا أو إباحة حتى!! لا سـيما في تلـك المرحلة التاريخية الحاسـمة التي تمر بها أمتنـا في كل المجالات فكان لابد من هذه التذكرة لتتسع المدارك والآفاق...

في خضـم الانتقاء والاختيار على حسـب متطلبات لا أقولُ مسـجد ولا منطقة بل حتى متطلبـات مدينة بأسرها يظلـم الكثـيرون أرباب طاقـات متفاوتة نعـم.. ولكن لا تخلو من خير وحب للخير.. قد لا يستطيع أن يخطب.. قد لا يستطيع أن يغوص في أعماق الكتب ليأتي بفرائد الفوائد و عجائب الترجيحات في المسائل العسيرة..

قـد لا يسـتطيع أن يحسـن صوتـه بالقـرآن.. وإن كان يحفظـه عن ظهـر قلب أو حتـى لا يحفظه ولكنـه حين يتلى عليـه القرآن يبكي من خشـية الله.. لكنه يسـتطيع أن ينفق في سـبيل الله القليل أو الكثير لبناء مسـاجد وإعانة طلاب العلم والخطباء...

قد لا يستطيع أن يكون لغويًا بارعًا.. ولكنه يجيد لغة القلوب في دعوتها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..

قد يستطيع أن يؤذن.. أن يطهر بيت الله.. أن يسعى على اليتامى والأرامل قد يستطيع إلخ.. ما يدخل تحت الحكمة النبوية الأصيلة «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق**» [صححه الألباني].

لُب المشكلة في الحقيقة أننا لا نفهم قضية تفاوت القدرات والطاقات ولذلك وبشعور أو لا شعور نهمش بعضها عن بعض ونفضل بدون وجه للمفاضلة بينهما فينتج الإهمال والإعراض الذي قد لا ينفعنا ولا ينفع المتربَّى فضلًا أن يضره ويفتنه ويجعله يتساقط مع المتساقطين..!!

في ذلك عاتب الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كان يدعو كبراء قريش وهو يريد عزة ومصلحة هذا الدين في وقت الاستضعاف.. جاءه في تلك اللحظة الذي يعتصر فيها قلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صد هؤلاء الكبراء له ولدعوته وهو الرؤوف الرحيم الحريص الذي كاد يُهْلِكَ نَفْسَه حزنًا عليهم فضلًا أنهم وجهاء سيزيدون وزن الدعوة

في أنظـار القبائل والعرب..... جاءه في تلك اللحظة رجل لو نظر أحدنا إليه وهو لا يعلمه لقال لن يسـتطيع أن يخدم الدعوة بـشيء ولكن هيهات.. كم في الزوايا خبايا وكم في الناس بقايا!!

وسبحان من لا يعلم أقدار خلقه إلا هو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..

جـاء الأعمى عبـد الله بن أم مكتـوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول له (علمنـي مما علَّمك الله) !.. آلآن؟؟ في ظل ذلك الموقف.. فلـم يرده النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعنفه ككلامنا نحن ولكنه فقط عبـس بوجهه اقتضب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأزيـدك بيانًا ألا تنس أن عبد الله بن أم مكتوم لم ير تلك العبوسـة ولم تجرح مشـاعره لأنـه لم يَرَهَـا.. ولكن.. الله رآهـا عَزَّوَجَلَّ.. فأنزل: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴾.

ميزان السـماء مختلف تمامًا عن ميزان الأرض.. ميزان الجاهليـة مختلف تمامًا عن ميزان الإسـلام.. فالمرء لا يوزن بجاهه و ولا بصورته لا بماله ولا بجسـمه ولا بعشيرته إنما يوزن بقلبه.....

«**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» [رواه مسلم].

على قدر ما في قلبك يكون لك عند الله حتى وإن لم يظهر منك شيء لعجزك عن العمل.. حتى وإن لم تظهر ثمرة العمل فكفاك قلبك مؤنة ذلك.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وإذا لم تصل في الظاهر فقد وصلت في الحقيقة عند الله يبذل الجهد وصدق وإخلاص وتجرد القلب..

نعم عباد الله.. رسالة إلى كل من يتولى تربية أومتابعة لا تحتقر قدرات فرد ولا تهمشها ولا تركن إلى موازين ظاهرة في المال والحسب والنسب حتى ولو كان الفضلاء..

ولا حتى للباقة أو حسن صوت ولا نعنى ألا نستغل الطاقات المتوفرة بالعكس إنما نحن نريد استغلال القليل فضلًا عن الكثير التي تشخص الأبصار إليه ويخطف الانتباه.. إنما ننبه إلى المدفون المغمور.

«رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره».

[صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»]

يخدم دين ربه بقلبه وما تحسنه جوارحه أينما كان حسب ما جاءت به النصوص وحسب استطاعته وهو في تلك الاستطاعة التي تراها محدودة هو يسير ويقطع المسافات وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سبق درهم مائة ألف درهم»** [سبق تخريجه].

ألا تتسألون لماذا؟؟

لأن الأول له درهمان هذه طاقته فحين يبذل درهم يعنى ذلك أنه سيموت إن بذل الآخر جوعًا...!

أما الثاني فطاقته مئات مئات فأخرج مائة واحدة فالأمر نسبي وكل على قدر طاقته..

عبد الله بن أم مكتوم خير من ملء الأرض من أبي جهل هذا هو ميزان الإسلام وميزان السماء.

ونحن نطبق ذلك على واقعنا ونحن كلنا مسلمون.. ولكن تتفاوت درجات الإيمان وهذا التفاوت لا يعلمه إلا الله ولذلك حرم غمط الناس والسخرية منهم عسى

أن يكونـوا خيرًا منا قد يوجد العـالم العابد في الظاهر وهو يريد أن يقال عنه عالم وفي نفس الوقت يوجد طالب العلم الخامـل الذِكْـرِ.. المخلـص وله معـراج يعرج فيـه قلبه إلى السـماء.. وكـما قلت هـذا التفاوت لا يعلمـه إلا الله لذلك علينا اسـتيعاب طاقات الصالحـين كلها ولا نبخل بجهدنا عـلى إنسـان.. أو مـكان مهما لَبَّـس علينا الشـيطان أن هذا الإنسـان أو المكان لا رجاء فيه.. لا... الرجاء في الله كبير. عليك البذل وهداية البيان وعلى الله هداية التوفيق.

ونحـن كما نحتاج للعـالم نحتاج للمفكـر وكما نحتاج للفقيه نحتـاج للمحدث.. والأديـب والداعية والمهندس والطبيـب وغيره من أرباب المهـن والصنائع والعلوم لبناء حضارة متكاملة الجوانب ذات طابع إسلامي أصيل.(هذا ما نسـميه باختلاف التنوع الواجب فيه التكامل والتعاون مع انضباط ضوابطه). [راجع «فقه الخلاف» د. ياسر برهامي]

ونحن هنا لا نقول أن النبي ﷺ حقر عبد الله ابـن أم مكتوم. ﷺ ولكنـه اجتهد أن دعوة هؤلاء

الآن أفضل من تعليم عبد الله بن أم مكتوم الذي وصلته الدعوة أصلًا فاقتضب وعبس لذلك.

[راجع «عتاب الرسول» لصلاح الخالدي]

فنحن نستدل بالأدنى على الأعلى فإن كان عوتب ﷺ على ذلك وهذا شيء طفيف ولكن في حق المصطفى خليل الله ثقيل وعاتبه ربه في ذلك.

[راجع عقيدة الإيمان بالرسل في شأن العصمة من منة الرحمن د. ياسر برهامي]

فما بالك بما يقع منا أحيانًا من تحقير وتهميش وانتقاء مع ظلمٍ لكثير من حقول المواهب والطاقات وندفنها لأننا ندعى أننا لا نحتاجها.. بل نحتاج كما سبق البيان لإقامة خلافة على منهاج النبوة لسد كل الثغرات وتغطية كل فروض الكفايات..

ومع ذلك نؤكد أن على كل مسلم حد أدنى في العلم والعمل والدعوة لا ينفك عنه وجوبه حتى يصلح اعتقاده وعبادته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ثم بعد ذلك إذا تخصص في شيء يخدم به دين الله فلا حرج عليه ولا غضاضة حتى وإن كانت غريبة على الطابع السلفي. لأن كل زمان

يحتاج إلى تحديات مختلفة مثل الآن في زماننا تخصصات نحتاجها ولم تكن موجودة قبل ذلك (الكمبيوتر - الترجمة - هندسة الصوت-التنمية البشرية-العمل السياسي وغير ذلك) المهم والخلاصة ألا نبخل بالدعوة ولا بالوقت على من يرجوه منا، فما أدرانا لعله يزكّى فيخدم دين ربِّه أي خدمه ولا يخطر على البال كيفية تلك الخدمة. وفعلًا أصبح عبد الله بن أم مكتوم أمير المدينة في كل غزوة يخرج فيها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه رضوان الله عليهم وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما رآه قال له: «**مرحبًا بالذي عاتبني فيه ربي**».. وقصة موته عظيمة جليلة أنه في معركة القادسية قال لهم: «إني رجل أعمى لا أفر فَحَمِّلُوني رايتكم واجعلوني بينكم» فحمل الراية وقوتل دونها من كل جهة حتى تظل مرفوعة خفاقة ووجدوه مقتولًا وهو مستمسك بها غاية الاستمساك إن شاء الله شهيدًا في سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصدق الله إذ يقول من فوق سبع سماوات: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾.

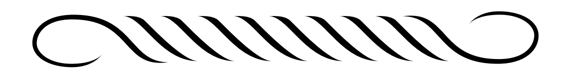
فهل نعتبر؟ والحمد لله رب العالمين.

ηǾǩǩǯΣ ΘÊǭǇơ

:ÅǩǩūơǴǩǸā Ǽə

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾

[المجادلة: ١١]



۞ لازلت أسمعه.... أجد حلاوته في سمعي، ومذاقه في روحـي... لازلت أتذكر ذلـك الصوت النابع من ذلك القلب النابض بحب الآخرة والتشوُّفِ إليها........

۞ ذلـك الصـوت يتـسرب إلى النفـس فـإذا هي غير النفس التي أعلمها بآمال وهموم وأشواق جديدة.

۞ لازلت أتذكر وأنا أنظر إلى شفتَيْ الشيخ ينحدر من بينهـما نهر النور والعرفان وهو يَسِرُّ ويتمتم بذكر الله ثم بدأ في خطبته.

۞ وأنا أحدِّقُ إلى لآلئَ دريةٍ تلك الشـعيراتُ البيضاءُ في لحيتِـه وهـي تعـبِّرُ عن قصـة الكدح والكفـاح في طريق السير إلى الله والدار الآخرة.

۞ نـبرة صـوت دافئـة تحتضـن الروح وهـي تتحدث بحديث الأشواق.....

۞ لازلـت أتذكر ذلك المجلس من بين ملايين ملايين المخلوقـات في ذلك الكون الواسـع الشاسـع وتتنزل عليه

البركات والرحمات وينظر إليه الرحمن من علٍ من فوق سبع سموات وينظر إليه حفظًا ورعايةً ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور:٤٨].

۞ ذلك المجلس الذي تمتد إليه وتشخص إليه اهتمامات مخلوقات عظيمة عند الله..ملائكة الرحمن فيتنادوْن بعد سياحة عريضة في ملكوت الله بحثًا عنها (هلمّ إلى حاجتكم) مجالس الذكر ها أنا ذا أقعد في موكب النور السائر إلى الله والشيخ يتحدث ونستطعمه الحديث ويطعمنا من حديث الأشواق وحلاوات الإيمان تتدفق من شلالات الروح المتدفقة من كل نافذة من نوافذ المسجد والتي تغمرنا بسكينة ونشوة عجيبة مع القرآن المَتْلوِّ بمزامير التغني به.. لا يكاد ينطق بكلمة إلا ودمعه يصدِّقها ووجهه يشرق وكأنه يرى بل وكأننا نرى ونطالع أرض الأشواق والقرب من الحبيب الله القريب المجيب تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. جنة الله...

۞ لازلت أشعر بحنين ولذة ووجدان حين أذكر الله وقوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ وهاتيك دموع المحبين

الذاكرين...حين قال رسول الله ﷺ لأُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة**» [رواه الهيثمي في مجمع الزوائد] فقال له أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وسمّاني لك) فقال له: «**نعم**» ففاضت عيناه حبًا وشوقًا إلى الله.

۞ نذكره فيذكرنا... نزداد له حبًا بحبه لنا ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

۞ حديث الأشواق والكلام على الرب يقوم به النبي ﷺ بين أصحابه رضوان الله عليهم: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، ويخفض القسط ويرفعه، حجابه النور لو كشفه لأحرق سُبحات وجهه ما مد إليه بصره**». [رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

۞ ولا تزال تسري الأنوار الثجاجة الفياضة.

يقول رسول الله ﷺ: «**يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرءيتم ماذا أنفق منذ خلق السموات والأرض، لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى الميزان**».

۞ فيتجلى في القلب منزلة التوكل وحسن الظن بعد تربُع منزلة مشاهدة الجلال والجمال أشعة نورانية «**إن الله جميل يحب الجمال**».

ويتلو الشيخ علينا بصوته الرقراق ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

- فتنفتح النوافذ حولنا من كل جهة ويظهر الكون في مكاشفات عظيمة.. هيهات هذه عظمة المخلوق فكيف عظمة الخالق!!!

- حديث الأشواق إخواني... هو حديث لا يفتر سامعه ولا يمل قارئه ولا يغمض عينه وكأنه ليس من الدنيا.... بل هو من الجنة.

- حديث الأشواق تقف الدنيا واجمة مذهولةً عند بدءه تعلم أنها ليس لها مكان فهنا فقط تتجلى أفراح الآخرة....

- إخواني... الآخرة تبنى بناءً شامخًا... منزلتك... درجتك... بيتك.... نُزلك... سماعك... لقاؤك.

۞ كل ذلـك يبنـى بالعمـل والبـذل والحـادي إليه... حديث الأشواق.

۞ وفي ظـل بل في ظـلال الحياة بـل الحيوان ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾.

۞ وأنا كلي وكياني آذانًا تذوق النعيم.

- إذا بالشيخ يختم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

- فتكـون النهايـة... البدايـة في وجـدان الذكـرى في القلـب والانسـياق في بناء درجـات من الجنـان بالأعمال، فعن أبي سـعيد الخدري قال رسـول الله ﷺ: «**إن أهـل الجنة يـتراءون أهـل الغرف كمـا، تـتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق**» [رواه البخاري].

- درجات بينها مسـافات لا تحيط بها العقول في الدنيا هنا ملايين السنين الضوئية فضلًا عن الآخرة...

- أسـتعدُّ للعمـل وإن كان سـيري ضعيفًـا ولكـن الصوت لا يزال في مسـامعي والمشـاهد في عيني أسير وقد

انتعشـت روحـي بأشـواقها منتظرة... الحديـث الآتي وأنا أعلم أنه لا ينتهي لأن أنوار الأسماء الحسنى وجمالها وكمالها لن تحيط بها العلـوم والأفهام والأحاديث... وبناء الآخرة ممتد امتداد عمري فهل ذلك يجدي؟ !!! نسأل الله أن يعيننا على تعمير سـنِّي عمرنا بخدمته والعمـل على نصرة الدين وعبادته ولذة السير بين يديه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأن يجـبر كسرنـا وينعـم علينـا بكرمـه وجـوده وألا يحرمنا من....

حديث الأشواق...

K

ηǾǩǨǮΣ ΘÊǭǶơ

:ÁǩǨūơ ǴǩǸā Æə

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[الفتح: ٢٩]

دعوة لتآزر الأجيال لا لصراع الأجيال

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

من نعم الله علينا أن انفتحت أعيننا فإذا نحن بدعوة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد انتشرت في كل مكان وكان لمشايخنا وعلمائنا فضل السبق في التعليم والتربية والتضحية في سبيل هذه الدعوة المباركة بالأعمار والأموال وهذا والله شرف عظيم نسأل الله أن يديمه عليهم وأن يلحقنا بهم.

لقد انتشرت مبادئ وقيم الدعوة السلفية (وسمها بأي اسم المهم المنهج منهج القرآن والسنة بفهم أعلم الناس بهما وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وبقية القرون الخيرية) دعوة ملئها الخير والنور وانطلقت أسراب الطيور المغردة تشق الظلمات بفجر تلك الصحوة المباركة.

وإذا هذه الطيور تكبر وتنضج ويشتد عودها وينشر جناحها ويكتب لها القبول والانتشار بين الناس وبهذا الجناح القوي تقطع المسافات الطول في طريق السير إلى الله

والدار الآخرة في طريق العلم والعمل والدعوة وما حُصِّل ذلك الجناح الوارف الظلال إلا بالعمل والكد والتضحية والتوفيق أولًا وآخرًا بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم تنطلق الأسراب تلو الأسراب من العصافير الصغيرة التي فتحت أعينها فوجدت صقورًا قوية تقود تلك الأسراب في مسيرتها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إنه منظر رائع حقًا حين ترى ذلك المشهد... طيورٌ تضرب بأجنحتها القوية والضعيفة وكل على قدره في آفاق السماء حبًا وشوقًا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تريد أن تجوب الدنيا كلها دعوة وتربية وتعليمًا لتُخْرِجَ أجيالًا أخرى ينظرون إلى فوق ويتعلقون برب السماء ويعلمون رسالتهم الخالدة..

«جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة» يبشرون بالفجر والنور الأكيد إشراقه.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف:٨-٩].

وفجأة.. خلال تلك المسيرة المباركة إذا بعصفور يضرب بأجنحته الصغيرة في أجواء السماء فإذا بالريح تصفع جناحيه الصغيرين صفعات مؤلمة....يكاد من جرم الألم يخرمن السماء ولا يشعر به أحد من أقرانه من العصافير الصغيرة الذين هم أصلب عودًا وأشدُ قوةً وهذا التفضيل من دلائل ربوبية وألوهية ملك الملوك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾.

وذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الحكمة في ذلك في الحديث الصحيح حين سألها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن الله سبحانه لما أرى آدم ذريته وتفاوت مراتبهم قال: يارب هلا سويت بين عبادك، قال: «إني أحب أن أُشْكَر».

[أورده ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» وقال عنه: مشهور]

جناحان صغيران ضعيفان لم تثقلهم العواصف ولم تقوهم الأعمار والعلوم والأعمال... وهما صغيران في كل

شيء فماذا يحتاج ذلك العصفور الذي ملأ قلبه حب و شوق حركه في فضاء الحياة لكي يكون له نصيب من تلك السماء الواسعة الشاسعة وهي تسعه وتسع غيره وهي مخلوقة لله فكيف تكون الدعوة إليه و كيف يكون فضل الله وخزائن جوده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

إنّ الضرب بالأجنحة في فضاء الدعوة إلى الله يسع كل من أخلص قلبه لله وأسلمه لربه حبًا وشوقًا ويقينًا وتضحيةً، وإن كان جهد المقل وان كان الجناح صغيرًا جدًا بل أقول قد يسبق ذلك الجناح جناحًا كبيرًا قد شاب ريشه وقويت عظامه ألم تسمع قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**سبق درهم مائة ألف درهم**» [عن أبي هريرة «صحيح الترغيب والترهيب»]

ألم تسمع لذلك الصوت الآتي من أغوار الغيب على لسان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاكيًا عن ذلك الراهب المتجرد المربي: «**أي بني إنك اليوم أفضل مني**» [متفق عليه].

هذا الجناح الصغير الذي صفعته الرياح وهي شديدة وحُقَّ لها أن تألمه فيها ظلمات ورعد وبرق، هي فتن

واختبـارات تموج كموج البحر المظلم شـديد السـواد هذا الجناح الصغير الجريح يحتاج إلى الأجنحة الكبيرة أن تحتويه بريشها الدافئ من ذلك البرد القارس، وأن تضمد جراحه الغائرة، وأن تشعره بالأمان الذي ظن أنه فقده من جراء ما رءاه في تلك الظلمات من الرياح... يُذكِّرونه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يذكـروه بالحنـان ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فهناك ظلمات وهناك طيور لهذا الظلام ينشرون الشـقاء والتعاسة من خلال الغاسق إذا وقب...

فقـد رأى فيهم الغلظـة والجفاء وذلـك طبيعي لأنهم أعـداؤه، أما العجيب هو أن توجد تلك الغلظة والجفاء في حاملي النـور وطيور الهدى أصحاب رسـالته وقضيته ولا حول ولاقوة إلا بالله...

يحتـاج ذلـك الجناح الصغير لمـن يقول لـه انطلق طر، ولـو للحظـات، فإذا ضعف وجد ذلك الجنـاح القوي من

خلفه يقويه ويعضده ويقول له: لا عليك أنت قوي بالله ثم بإخوانك ومشايخك.

هذا هو تآزر الأجيال لا صراع الأجيال لا سيطرة الجناح الوارف الظلال على كل شيء حتى يكاد- شعر أو لم يشعر- يطيح بالصغار أصحاب الأفئدة النقية الغضة الطرية.

إن الأجنحة الكبيرة عليها دور ثقيل في إحياء ذلك الاحتواء وتلك الرعاية الصادقة التي يصدق فيها عبارة التآزر التي تشعرك بالقوة في حنان.. والنصرة في توجيه رؤوف... والتربية في نظرة مِلْؤُها الحب والود حتى وإن كانت معنفة معاتبة...

هاهو ذاك العصفور الصغير يحتويه ذلك الصقر الكبير بجناحيه العظيمين في كل شيء فضلا عن الدفء والرحمة... يقول له: سوف تكون في يوم من الأيام مثلي وأفضل فاشدد عودك وقوِّ قلبك واربط عليه بالاستعانة بالله.

وطـرو انطلق وإياك والنظـر إلى جناحيك بل انظر إلى الوهاب تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

واطلـب منه المزيد ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ هو سـحاء الليـل والنهـار أرأيـت مـاذا أنفـق منـذ خلـق السـماوات والأرض لم يغـض مـافي يمينـه فإياك والطمـع في أي شيء إلا في فضلـه تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسـبح في الفضـاء الواسـع واجعل أحضان السـماء تحوطك وتشملك وستجد السعة والراحة والرفعـة المتجهـة إلى فـوق بـلا تناهـي ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

ووقِّر الأجنحـة الكبيرة واعمـل بنصحهم واغضض طرفـك عن عيوبهـا فقد دُفِنَـتِ العصمة مـع المعلم الأكبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

واعـلُ بهمتك فوق الأهـوال والعواصـف والأمواج المتلاطمة واستمسك بالنور ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ وإيـاك والخوف إلا من الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

فيضرب العصفور الصغير بجناحيه بقوة وكأنه حيا بعد موت، وفاق بعد غفلة، وقَوِيَ بعد ضعف.

وينطلق وأركان ضميره شاكرة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثم لذلك الصقر العظيم ويتذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾.

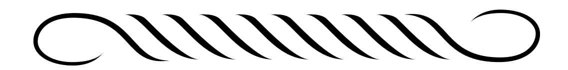
[الفتح:٢٩]

وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم.

K

﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

[يس:٢٦-٢٧]



ƸƱøł ƸǮūǩł

هل يمتد عمر الإنسان بعد موته صلاحًا وإصلاحًا؟!

تخليـداً لذكره في الآخرين حتى يبلِّغ الله عنه إذا كان صادقًا في حبـه لربه و في عمله الذي يسـير به لله ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ أتـم خطبتـه بعـد موتـه بلاغًا ونصحًـا وحنانًـا متدفقًـا وبلغها رب العالمـين عنـه قبـولًا ورفعًا لذكـره .. و قـد رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلـة الإسراء موسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائـمًا يصلي في قبره ليس تكليفًا بل نعيمًا بالصلاة ......فهل نصدق الله في أعمالنا لنضم أعمارًا إلى أعمارنا ولا ننقطع عن قرة العين ولذة الأرواح في طاعته والتبليغ عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رسالاته؟؟؟!!

K

qkqUkł Ɛ ă Ū

نسأل الله لسان الصدق في الآخرين

هـا ياصاح قد وصلنا إلى ذلـك العطر الفواح إنه عطر المعـاني التي اعتملت في قلبـك وذلك هو المقصود أخي أن تـذوق أنت فالسـير إلى الله تجربة فردية أصـلًا وفصلًا ولن تعيشـها إلا بخوض بحرها واسـتقبال أهواله وغماره لكي تتعلـم أن تسـبح وأن تواجـه الأمواج وتشـم النسـائم إذا هـدأت.... فالبحر بين قبض وبسـط ومد وجزر فتصبَّر في سـعيك لتلك الغاية الجليلة..... ومن عـرف ماقصد هان عليه ما وجد.

واعلـم أن الخـير عادة وإنـما العلم بالتعلـم... فطريق القـرآن جهـاد ومجاهـدة وصـبر ومصابرة حتـى تنزله على قلبـك دواءًا... فما بـين التلاوة والتدبـر والتفهم والتطبيق والتخلـق.... مفـاوز وفلـوات.... واعلـم أن الطريق إلى الله تقطع بالقلوب لا بالأبدان فلابد أن يكون لك قلب في ذلك البحر الخضم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ نحن لا نزال على الشاطئ ولا

يـزال الطريق طويلًا إلا على الذي يسره الله عليه وإذا كنت عـلى دربهم فما أسرع اللحاق بهـم فدونك كتاب الله المجيد المسـطور فاقرأ تفسـيره وقف مع معانيه واقرأ وارتق ورتل ودونك كتاب الكون المنظور لتنطلق القلوب في رحلتها إلى الله تدبـرًا وتفكـرًا، فادخل عالم التشـذيب والتهذيب لكي تكون على مستوى الاصطفاء والاجتباء فـ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ فكما أن ظاهر جلد المصحف لا يمسه إلا طاهر فكذلك معاني القرآن الطاهرة لا تدخل إلا قلبًا طاهرًا...

وقد ذكرنا أن هـذه تجربة أولية في ذلك الدرب وذلك المـشروع العظيـم مـشروع مجالس القـرآن... وهـو يحتاج إلى إثـراء وتجـارب وجدانيـة صادقـة وتكاتـف جهود بين المصلحـين لتتعمـق تلـك التجـارب وتـضرب بأطنابها في جـذور النفس والمجتمع ومـن ثم تعيد كتابـة التاريخ على إثر تلك النهضة القرآنية المرجوة فتحتاج أولًا إلى تنظيرات متوازنة وشاملة وعميقة تجمع لمسات شتى.......

۞ اللمسة الإيمانية والعقدية ...

۞ واللمسة المنهجية والتأصيلية..

۞ واللمسة التربوية السلوكية..

۞ واللمسة التنموية النهضوية..

۞ ولمسة الصياغة الأدبية والرصانة اللغوية..

ومـن ثم إعطـاء خارطة كاشـفة للطريـق بين الماضي والحاضر والمسـتقبل ...والمقدور والمطلوب...لنسـير على بصيرة ...

فهـذه دعوة لجميع المصلحـين ذوي التوجه والمشروع القـرآني إلى التعاون والعمل الحثيث المُنظَّـر والمطبَّق تعليما وتربية لتحقيق تلك النهضة...

فاللهـم طهِّـر قلوبنـا واهدنا سـبل السـلام وأخرجنا مـن الظلـمات إلى النور وعلمنا ما ينفعنـا وانفعنا بما علمتنا واجعل ما علمتنا حجة لنا لا علينا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصل اللهم على النبي
وآله وصحبه والتابعين

٩ جماد الثاني ١٤٣٢هـ/ ١/ ٥/ ٢٠١٢م

١- بدائع التفسير لابن القيم (١-٣).

٢- في ظلال القرآن - سيد قطب (١-٦).

٣- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - أبو بكر الجزائري (١-٢).

٤- من أدب الدعوة - أبو الحسن الندوي.

٥- مجالس القرآن (١-٢) فريد الأنصاري.

٦- بلاغات الرسالة القرآنية - فريد الأنصاري.

٧- تحقيق الوصال بين القلب والقرآن - مجدي الهلالي.

٨- إنه القرآن سر نهضتنا - مجدي الهلالي.

٩- الإيمان أولًا - مجدي الهلالي.

١٠- تأملات إيمانية في سورة يوسف - ياسر برهامي.

١١- أفلا يتدبرون القرآن - ناصر سليمان العمر.

١٢- [١٠] أسباب لتدبر القرآن والنجاح في الحياة - خالد اللاحم.

١٣- في إشراقة آية - عبد الكريم بكار.

١٤- هكذا عاشوا مع القرآن - أسماء الرويشد.

١٥- آيات رسمت طريق الحياة - سعيد السواح.

١٦- الزهراوان - سعيد السواح.

:ŋØơǸdžǩƗ ƟƗƸ lj☒ƮƷǩƗ

الشيخ الدكتور/ محمد إسماعيل المقدم.

١-مفاتيح وأسباب تدبر القرآن.

٢-سيادة القرآن (١-٢).

٣- التصحر الروحي

الشيخ الدكتور/ ياسر برهامي.

١- أنوار الرجاء تبدد ظلمات اليأس.

٢-حقيقة الصراع بين الحق والباطل.

٣-قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفرعون.

٤-قصة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٥-قصة أصحاب الأخدود.

٦-قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٧- إنما أشكو بثي وحزني إلى الله.

٨- توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين.

٩-قل اللهم مالك الملك.

١٠- صفات جيل النصر المنشود.

١١- تأملات إيمانية في سورة النحل.

١٢- المستقبل للإسلام.

١٣- الإيمان وأثره في القلب.

١٤- قصة أصحاب الكهف (١-٨).

١٥- سلسلة تفسير سورة الأنعام.

١٦- سلسلة تفسير سورة هود.

الشيخ/ أبو إسحاق الحويني.

١- إلى القرآن من جديد (١-٦).

٢- تأملات إيمانية في سورة القصص.

٣- تأملات إيمانية في سورة ق.

٤- تأملات إيمانية في سورة الحج.

٥- تأملات إيمانية في سورة مريم.

٦- الشيخ محمد حسين يعقوب.

٧- القرآن يصنعك (١-٢).

٨- القرآن ويوم الفرقان.

٩- سلسلة وقفة مع آية (١-٣٠).

١٠- سلسلة التدبر (١-٣٠).

١١- القرآن ودوره في إصلاح القلوب.

١٢- كيف نفهم القرآن.

١٣- الأنس بالله.

الشيخ الدكتور/ محمد حسان:

١- تفسير سورة مريم (١-٢٠).

[كل المحاضرات الفائتة في موقع طريق الإسلام]

الشيخ الدكتور/ حازم شومان:

١- القرآن يناديك.

٢- سلسلة بداية الهداية تفسير جزء تبارك.

٣- سلسلة «راجعلك يارب» تفسير جزء ق.

٤- سلسلة الطريق إلى القرآن.

٥- خريجو مدرسة القرآن.

(موقع الطريق إلى الله)

الشيخ/ هاني حلمي:

- دورة التدبر (١-١١).

(موقع الطريق إلى الله).

الشيخ/ أحمد خليل:

- تفسير سورة القصص.

- تفسير سورة تبارك.

- تفسير سورة الفجر.

- إنهم فتية آمنوا بربهم.

الشيخ الدكتور/ فريد الأنصاري:

- سلسلة منازل الإيمان (١-٥٤).

- سلسلة مجالس القرآن.

- أصول الذكر.

- الأصول التربوية للحج.

(موقع الفطرية).

الشيخ/ صالح المغامسي:

- سلسلة نور على نور.

(موقع الراسخون في العلم).

- التفسير المرئي والصوتي للشيخ محمد الشنقيطي، مثل تفسير سورة النور.

(شبكة الإسلام).

K


فِهرِس



فهرس

~